المجلس الأعلى للثقافة

العرابة

رواية

فؤاد نصر الدين



الاخراج الفنى والرسوم : سعيد المسيرى

«فانظر أيها الملك ما ألقيت ولا يثقلن ذلك عليك فلم أتكلم بهذا إبتغاء غرض تجازينى به، ولا إلتماس تكافئنى فيه، ولكنى أتيتك ناصحا مشفقا عليك..»

من كتاب كليلة ودمنة



الإهداء

إلى أبى..

أحد أبناء العرابة

الفصل الأول

ليـــل الأحــــزان



يقول الراوى:
«كانت الشمس تشرق وتغرب والقمر يطلع وينزل والنهر يجرى والورود تتفتح والأشجار تنمو، والبلد تنام وتصحو. لكن كل شئ فقد طعمه ومعناه برحيل الحويطى فقد اصاب الدم المسفوح منه كل ابناء القرية»

١

ألجمت الدهشة العرابة* فلم تفكر فيما أصابها من كوارث على مر السنين الماضية، والتى أختتمت أمس بمقتل العمدة والحويطى. ظلت القرية فى ذهول كأنها قد وقعت فى دائرة السحر. رأت القرية الجثتين الملطخيّن بالدماء والحكومة محيطة بهما على أثر بلاغا شيخ البلد وشيخ الخفراء.

يحملق المأمور فى وجه الحويطى المرتمى أمام البوابة الحديدية لدار العمدة، ثم يهز رأسه هزات لم يفهم مقصودها أحد، لكنه قال لنفسه:

* العرابة: أيبدوس أو العرابة المدفونة أو عرابة أبيدوس قرية فرعونية بمحافظة سوهاج فى صعيد مصر..

ـ يبدو هذا الوجه لى مألوفا.

وأتجه ناحية الزريبة حيث كانت ترقد جثة العمدة التى أخذ فى معاينتها وفحصها فى وجود عساكره.

مرت ساعة أو أكثر وصلت بعدها النيابة لتستكمل معاينة الشرطة إجراءاتها فسجلت الأوصاف والأقوال وما جرى من أحداث. ثم جاءت سيارة المستشفى الأميرى.

وفى نهاية تلك الليلة المحزنة قال المأمور لشيخ البلد:

ـ العمودية لك ياشيخ البلد إلى أن يجرى إنتخاب بين المرشحين..

ـ لمعت عينا الشيخ فرحا وهو يردد صائحا

ـ لا أحد يريد ترشيح نفسه ياسيادة المأمور.

أنا الوحيد الذى يستحقها.

سمع شيخ الخفراء حوارهما وهما خارجان من البوابة الحديدية فتقدم ناحية المأمور مهرولا وهو يتحدث فى لهثان أنفاسه.

ـ أنا أحق بالعمودية يا حضرة المأمور.

نظر اليهما المأمور وهو يهز رأسه.. ثم صوب نظره إلى رجال المستشفى الأميرى الذين حملوا الجثتين إلى سيارة المستشفى. ثم قال لهما:

ـ لقد قلت أننا سنجرى إنتخابا بين المرشحين وهذا كلام سابق لأوانه. وأنا عينت شيخ البلد حسب اللوائح ولحين البت فى قضية مقتل العمدة والحويطى، ولا تنسى يا شيخ الخفر أنك أحد أطراف هذه القضية.

صاح شيخ الخفراء مدافعا عن نفسه أمام المأمور والعسكر.

ـ أنا قتلت الحويطى قاتل زيدان العمدة.

أنا قمت بواجبى كما تطلبه منى الحكومه.

قال المأمور – أنا لم أقل شيئاً، والكلام ليس لى يا شيخ الخفر. فيه نيابة ومحكمة وحكومة.

صاح شيخ الخفراء فى خوف – وعدل

إبتسم المأمور خارجا من البوابة الحديدية ممتطياً جواده يتبعه جنوده وهو يردد:

وعدل..وعدل

ضحك فضحك معه كل الحاضرين.

فى نفس اللحظة كان الحزن الحقيقى والهموم والكآبة يأكلون شيخ الخفراء أكلا متوحشا وهو حبيس حجرته يحدث نفسه بصوت عال:

ـ أنا أبعد عن العمودية ويركبها غراب البين أنا الذى مهدت لإزاحة العمدة (زيدان) عن طريقى.

لا. الذى ناله العمدة السابق يناله العمدة الحالى يا أبو ريان.

وراح فى ضحكات هستيرية دخلت على أثرها زوجته تسأله عما يضحكه نظر إليها محدقا ثم قال بخبث شديد:- العمدة مات يا إمرأة.

ردت عليه ساخرة - البلد كلها تعلم أن العمدة مات.

قال الرجل فى تأكيد - لا أحد يعلم بعد.

صكت المرأة صدرها بيدها وهى تسأله.

ـ لا أحد يعلم. كيف؟

قال ـ غدا تعلمين.

سألته ـ ومالذى أضحكك؟

قال ـ موت العمدة.

صرخت المرأة ـ تريد أن تجننى يا رجل.

لكنه قاطعها ـ إذهبى. إذهبى وإعملى براد شاى

فأدارت له ظهرها خارجة فى تعجب، وظل هو وحيدا فى حجرته.

فتراءت له صورة العمدة فى كفنه الأبيض وصورته هو فوق كرسى العمودية فحمل عصاه ورقص.

* * *

ملحق رقم (١)

تقول الروايات فى الليلة التى قتل فيها العمدة:

حينما عاد العمدة من سفره بالبندر وجد زوجته البندرية عارية فى أحضان خادمه الحويطى. فجن جنونه وحاول قتل الحويطى الذى صارع العمدة صراعا قويا أنتهى بالزريبة حيث قتل العمدة من ثورة فرسه الذى أثارة الحويطى حينما إمتطاه ليهرب به لكن شيخ الخفراء رآه فصوب بندقيته إليه. وأطلق رصاصة واحدة اسقطته فوق الأرض.

٢

عاشت العرابة ليلتها هذه فى وجوم قاتل، فالحزن دخل كل بيوتها وعشش فى أركانها إلابيت شيخ البلد الذى لم يستطع إخفاء فرحته بركوب العمودية فراح يرقص ويغنى. وجاءه الأهل والأقارب يشاركونه فرحته بالتعيين، لكنه قال فى حزن كاذب:

ـ المأمور قال مؤقتا حتى يجئ يوم الإنتخاب.

رد أحدهم فى غضب:

ـ الإنتخابات لاتهمنا والعمودية لك يا إبن عمنا

العمودية لك وحدك يا أبو ريان.

٣

ظهر يوم حار من يوليو والشمس فى العرابة تحرق كل شئ. فتغير معالم الأشياء تحت وهجها الشديد، تكسب ألوانا

غير ألوانها توهم الإنسان بوجود أشياء كثيرة لا وجود لها فوق الرمال وفى الحقول البعيدة. أشياء كثيرة تتحرك هكذا يرى الإنسان بعينيه. الحر كاظم الأنفاس يكاد يقتل الحياة فوق هذه الأرض الترابية المحيطة بالجبل. الناس إختبأت داخل الدور والبيوت والجامع يصبون على أجسادهم الماء فيه. بعضهم نقل الزيار والبلاليص المملؤة بالماء عن أماكنها فوق الأرض الطينية الناعمة وتمددوا مكانها منتعشين برطوبة الأرض المبتلة.

فى هذه الساعة. ساعة القيلولة تأتى (الحلزونه) من البلينا إلى العرابة حاملة الناس والأشياء. ينتظرها الناس عند البوابة الفرعونية للمعبد المقدس حيث موقفها النهائى.

عندما جاءت (الحلزونه) إلى العرابة وصلت للعمدة إشارة بالحضور مع شيخ الخفراء لمقابلة السيد المأمور. إرتدى العمدة الجديد ملابسه الجديدة التى كان قد إحتفظ بها للمناسبات السعيدة ومقابلة ذو الشأن ولف عمامته البيضاء فوق رأسه الأصلع ثم أرسل مستدعيا شيخ الخفراء الذى قطع رقصه بالعصا الذى كان يرقصه فى فترات متتالية منذ الأمس مسرعا فى إرتداء البالطو الكاكى اللون وصب

الطربوش فوق رأسه ثم حمل بندقيته على كتفه الأيسر وسار متجها لدار العمدة وهو يتساءل طوال الطريق عن سبب إستدعاء العمدة له فى ساعة القيلولة، وراح يتوقع الأمر الذى من أجله طلب العمدة حضوره.

هناك صاح - خير يا حضرة العمدة.

فقال له - المأمور يريدنا.. هيا بنا

دق قلبه. المأمور مرة أخرى لابد أنه شئ هام.

جذب العمدة شمسيته البيضاء المعلقة فوق المشجب الخشبى خارجا مع شيخ الخفراء ثم فتحها ورفعها فوق رأسه خوفا من شدة الشمس، وأمام الباب قابله خفير فصاح له هات الركوبة يا ولد.

لم تكن المسافة بين دار العمدة وبين موقف الحلزونة كبيرة لكن العمدة يجب أن يركب ركوبته فى الوصول إلى الموقف عندما يكون الأمر مختصا بشئ ميرى.. ربما ليعلم أهل القرية عند رؤيتهم له أن عمدتهم ذاهب لمهمة رسمية عليا. جاء الخفير ومعه الحمار الذى ركبه العمدة معتدلا فى جلسته رافعا فوق رأسه مظلته البيضاء. وظل شيخ الخفراء والخفير خلفه.

نادى العمدة - هيا بنا ياشيخ الخفر.

سار الحمار بطيئا وشيخ الخفراء مهر ولا بجواره وخلفهم (العمدة والحمار وشيخ الخفر) ثلاثة من الخفراء حاملى البنادق.

وصل الجمع إلي المعبد فهبط العمدة من فوق حماره ثم نظر ناحية البوابة الفرعونية فأبصر (الحلزونة) واقفه فى سكون فأسرع الخطى اليها يتبعه شيخ الخفراء. صعدا (الحلزونة) وهما يمسحان عرقهما الذى إنهال غزيرا فوق الجباه والخدود. جلسا فوق المقعد متجاورين.

سأل شيخ الخفراء العمدة في قلق - لماذا يريدنا المأمور؟

قال العمدة مخفيا قلقه أيضا - العلم عند الله علام الغيوب.

ثم صاح في قلق متزايد لأحد الخفراء الذين كانو بجوار (الحلزونة) مع الحمار فى انتظار أوامر العمدة.

- متى سيقوم سائق الزفت فى يومه الأغبر إذهب يا خفير ونادى عليه.

أسرع الخفير تجاه المعبد ثم عبر البوابة الفرعونية إليه فوجد أربعة رجال يدخنون (الجوزه) صاح فى غضب مصطنع - أنت يا أبو أحمد.

رآه السائق فقال مبتسما - أهلا يا خفير محمدين تعال خد بالك نفسين

رد فى غضبه المصطنع - لانفسين ولاثلاثة

العمدة فى الحلزونة ومتعجل سيقابل شخصية هامه اليوم قوم وكفاك شرب الهباب.

نهض السائق وأتبعه المحصل وهو يردد فى سخرية مختبأه داخله ـ نحن خدامين العمدة.

أتجه الثلاثة نحو السيارة ثم صعدا السائق والمحصل فرأيا العمدة متصبيا فى عرقه. ألقيا السلام عليه. رد العمدة فى تجهم: وعليكم.

جلس السائق فوق مقعده وقاد السيارة في بطئ شديد.

غضب العمدة فقال بصوته الجهورى - ما تشد حيلك معنا المأمور فى إنتظارنا.

قال السائق مبتسما كعادته:

ـ على آخرها وحياتك يا عمدة وربنا يستر الدنيا نار.

رد العمدة فى غيظ:

ـ على آخرها. أنا لو ركبت حمارتى كنت وصلت.

قال السائق ـ كتر الله خيرها يا عمدة السن له أحكام.

إشتد غضب العمدة فقال:

ـ طيب بص أمامك وكفى أمثال وحياة أبوك.

رد السائق ضاحكا:

ـ عمرها إنتهى من زمان يا عمدة. يمكن من قبل ما أتولد.

كظم العمدة غيظة ثم رد:

ـ الحلزونه فقط التى إنتهى عمرها. أنت أيضا إنتهى عمرك من زمان.

ضحك السائق مقهقها فضحكا معه المحصل وشيخ الخفراء.

ثم أردف العمدة ـ والبلد أيضا.

سأل السائق فى دهشة ـ ماذا؟

رد العمدة ـ سبعة آلاف سنه كثير جداً.

قال السائق في غباء ـ لا أفهم شيئا.

قال العمدة آمرا ـ سق سيارتك.

وقاد السائق سيارته هازا رأسه فى إستغراب.

٤

فى مكتب المأمور حيث المروحة المعلقة بسقف الحجرة تدور بهوائها المنعش جلسا الأثنان أسفلهما متقابلين أمام المكتب والمأمور واقفا ببذلته الميرى يحدثهما.

ـ هل عرفتما من هو الحويطى؟

قال العمدة سائلا ـ الحويطى.

أردف شيخ الخفراء ـ قاتل زيدان العمدة.

سأل المأمور دون إنتظار إجابة ـ وهل يوجد غيره؟

قال العمدة جادا ـ عندنا سيدي الحويطي.

رافعا يديه إلى السماء ومرددا... شئ لله ياسيدى الحويطى.

قاطعه المأمور ـ لا يا أبا ريان..

أنا أقصد الحويطى الذى قتله شيخ الخفر

صاح شيخ الخفراء مدافعا عن نفسه من جديد:

ـ قتل عمدتنا وكاد أن يهرب.

هز المأمور رأسه وهو يقول: نعم.. نعم هذا الحويطى كان مجرماومطلوب القبض عليه.

قال شيخ الخفراء في راحه نفسية ـ الحمد لله أنى قتلته.

قال العمدة فى بلاهه ـ الحويطى.

أردف المأمور ـ الحكومة كانت قد أعلنت عن مكافأة لمن يقبض عليه حيا أو ميتا .

فرح شيخ الخفراء ورسمت الابتسامة على وجهه. تقدم المأمور ناحية مكتبة. فتح الدرج. أخرج منه مظروفا . ناوله لشيخ الخفراء. شعر العمدة فى داخله بالحقد والغيظ.

قال المأمور ـ ورأت الحكومة أن يظل حال العمودية على ما هو عليه لحين إصدار أوامر جديده.

صاح العمدة فرحا ـ يعنى أنا العمدة رسميا .

قاطعة المأمور - وشيخ الخفراء معاونك وعليكما أن تساعدونا فى القبض على مطاريد الجبل.

شعر شيخ الخفر بالخيبة رغم فوزه بالمكافأة، فحلم العمودية لم يتحقق بعد وعليه أن يواصل جهاده إليه. هز رأسه مفكرا فيما سيعود على البلد من أحداث جديدة خاصة وقد طلب المأمور صراحة العمل على القبض على الفارين بالجبل. وخرجا من المأموريه وفى داخل كل منهما شئ يعرفه هو يتحرك نحو هدف ما...

* * *

ملحق (٢)

تقول الروايات أن شيخ الخفراء كان يمهد لركوب العمودية منذ سنوات. حينما ألتقى بالغريب الذى هبط العرابة عل حين غفله. فراح يعده لمقتل العمده حتى تتهيأ له الأسباب لركوب العمودية وتحقيق الحلم.

أو حى للغريب بأنه مبعوث الرعاية الإلهية لإنقاذ شعب العرابة من جبروت وبطش حاكمها (زيدان) الذى يحكم البلد بالحديد والنار. وعليه. على الغريب الذى جاء فجأه للبلد أن ينقذها من شرور حاكمها. وأوحى أيضا شيخ الخفراء

للعمدة بأن الرجل الغريب الذى هبط علي العرابة ذات يوم رجل صالح مبارك ولابد من الإستفادة ببركته فهو أحد خلفاء سيدى الحويطى. وكان العمدة يرى كل ليله حلما يفزعه، ففسره له الغريب تفسيرا جعل العمدة يتمسك به ولا يفرط فيه فعينه خادما بدار العمودية. فتحققت أولى أهداف شيخ الخفراء الذى قتل الحويطى عمدا حينما نجح الأخر فى قتل العمدة وحاول الفرار.

صفحة قديمة من حياة الحويطى فى أرض الشمال:

جئت من باطن الأرض. ولدتنى أمى داخل حجر مع الدود والخنافس والذباب الأزرق. وضع أبى مـــاءه فى رحم أمى حينما كانت داخل القوقعة. فتح القوقعة فوجدها عارية بداخلها، فصب الماء عليها ورحل.

أنتفخ بطن أمى داخل القوقعة وإزداد إنتفاخها يوما بعد يوم حتى ضاقت القوقعة بها فلفظتها على الشاطئ. زحفت أمى فوق الأرض ثم غاصت فى أعماقها ولم تجده. وفى باطن الأرض عندما مخضت راحت تلفظنى من رحمها. دودة صغيرة مسلوخة الجلد، وأرضعتنى بأثديتها الأثنى عشر حتى نموت وأصبحت دودة مثلها.

٥

أصيبت (نعيمة) زوجة العمدة البندرية بصدمة حزن قوية إزداد أثرها حينما تقدم العمدة مع خفرائه بنقل التليفون وسط الزغاريد وطلقات الأعيرة النارية فرحا وابتهاجا. فراحت هى فى صراخ جنونى تولول.

- قتلوك يا زيدان.

نقلوا التليفون وقتلوك.

نزعت الخمار عن رأسها وفردت شعرها الأسود الطويل فى ولولتها المستمرة متوعدة.

- والله ليعودن التليفون لدارك من جديد يازيدان...

وحياتك عموديتك ستعود لك من جديد.

وقتها ضحك (أبو ريان) فى سره وهو يحدث نفسه:

- مالذى تقوله هذه المجنونة؟

كيف ستعيد العمودية لزوجها الميت.

لاحول الله. المرأة جنت من الحزن.

٦

أجتاح خبر الحويطى القرية كالنار، وراحت الناس تلوك ألسنتها بغريب ما سمعته عن الحويطى الذى كانت تتبرك به وتظنه مبعوث سيدى الحويطى وبركته.

ـ الرجل الطيب الذى كان يدافع عنا وعن حقوقنا لا.

إنه كذب وإفتراء على سيرته العطره

ـ الحكومة أرسلت إشارة للمأمور بهذا الكلام وأعطت مكافأة (مائة جنيه) لشيخ الخفر لأنه قتل الحويطى وخلص البلد من شروره.

ـ لقد نال مائتين من الجنيهات الحمراء.

ـ بل يقولون ثلاثمائة

ـ إثنان.. ثلاث لقد قتله ونال المكافأة.

ـ أرزاق.

٧

وصل لمسع أمينه العامية ما كان يقوله الناس فرفضت كل كلمة تصل لأذنيها وهى ترد مدافعه عنه.

وصل لمسع أمينه العامية ما كان يقوله الناس فرفضت كل كلمة تصل لأذنيها وهى ترد مدافعه عنه.

ـ حرام عليكم هذا الحديث نسيتم من كان هو..

ألم يدافع عنكم.. ألم يقتل الظالم الذى حكمكم بالحديد والنار.

وكانت النسوه يتعجبن من دفاع أمينه العاميه عن الحويطى بهذا الشكل المثير.

* * *

ملحق (٣):

تقول الروايات: كانت أمينه العامية إمرأة عمياء ترى الطالع وتتنبأ بالغيب.. قالت عن الحويطى عندما هبط على العرابة وتحسست يديه:

ـ سيكون لك شأن وأى شأن.

٨

البيان الأول

الصادر من دار العمودية

بتاريخ....

نحن (أبو ريان) عمدة العرابة وبنى منصور

قد تسلمنا اليوم أمر الحكومة بالمهمة الرسمية لحفظ الأمن والنظام. نصدر بياننا الأول إلي كل الرعايا والأهالى العامة والخاصة وإلى كل من يعيش فوق أرض القريتين.

هذا عهد جديد مبارك إن شاء الله سيختلف فيه نظام الحكم عما كان عليه من قبل. العدل صفته والإسلام قانونه. سينال عقابه كل من تسول له نفسه أن يأتي منكرا يعاقب عليه الله. فالحذر. فالحذر.

والسلام عليكم.

التوقيع

أبو ريان

عمدة العرابة وبنى منصور

سمع الناس البيان الأول للعمدة وقرأه من استطاع القراءة وراحوا يناقشونه بجلساتهم فى البيوت وفى قهوة أبو المجد فأستبشروا خيرا فى نظام يقوم حكمه على شريعة الله وقانونه.

٩

حينما تأكدت (بنى منصور) من أن العمدة الجديد (أبو ريان) يدعو إلى حكم الله، وإنه ينشر العدل بين رعيته. تجمع أعيانها ومشايخها يتفقون على اتخاذ قرار يخص (بنى منصور) فى سرعة إتخذوا هذا القرار ، واتفقوا عليه جميعاً، ولم يكن يعلم ماهية هذا الأمر وسره إلا بضعة عشر من الرجال أجتمعوا لتحقيقه . ركب هؤلاء البضعة عشر من الرجال ركبوهم من الحمير متجهين إلي دار العمومية فى صف واحد كأنهم فرقة الخياله العسكرية . الحمير تسير فى طريق واحد . صف واحد لذا كان يقود الركب الحاج عبد المبدى.

أبصرهم الناس على طول الطريق وتساءلوا عن سر هذه القافلة المتطية حميرها إلى العمدة ، لكنهم لم يتلقوا إجابة.

* * *

وهناك فى دار العمومية استقبلهم (أبوريان) استقبالا حسنا وأجلسهم فى مقدمة المجلس المخصص للاجتماعات والمناقشات فوق الكنب الخشبى ذو المساند القطنية وراح الخدم يوزعون عليهم أكواب الشاى والفناجين المعبأة بالقهوة العربية ، ثم دخلوا فى حوار مع العمدة . اشترك فيه شيخ الخفراء الذى أصيب بالوجوم عند سماعه لمطالبهم .

قال الحاج عبد المبدى:

- جئنا إليك يا عمدة نعرض أمرنا على سيد البلد الذى يحكم بالعدل ولا يرضى ظلما لأحد .

قال العمدة / ما الحكاية؟

قال الحاج عبد المبدى:

- تعرف حضرتك كيف إنضمت (بنى منصور) لحكم (زيدان) العمدة السابق لأبيدوس رحمة الله عليه. والآن وبعد

أن حكمتم بالعدل وبما يرضى الله جئنا إليك لتعيد الحقوق لأصحابها فترجع لنا عمودية (بنى منصور).

فكر العمدة مليا ثم نظر إلى شيخ الخفراء الذى أحس بأن أهالى (بنى منصور) يريدون أن يفروا من بين أصابعه. فصاح فى صوت جهورى جعل أعين الرجال تبرق فى دهشه:

- كيف تخرج (بنى منصور) من حكم (العرابة) بعدما حكمها العمدة زيدان ووافقت الحكومة على مافعله.

قاطعة الحاج عبد المبدى:

- الحكومة لا يهمها شئ سوى الأمن والنظام، وإذا كان العمدة (زيدان) قد حكم (بنى منصور) فقد حكمها بالبطش والجور، وكلنا يعرف ما عمله (زيدان) ليضم (بنى منصور) إليه.

قال العمدة: أمركم من حقكم.

وأرجوكم إتركونى فترة لأتصل بالحكومة ونرى رأيها.

سأل أحدهم - ورأيك يا حضرة العمدة؟

إبتسم العمدة قائلا - رأيى أنتم تعرفونه

قال أحدهم متفاءلا - خير إن شاء الله

هز العمدة رأسه مرددا - خير... خير

صاح أحدهم ـ هل نعلن البشرى؟

رد العمدة ـ فلتداروا على شموعكم

قال الحاج عبدالمبدى وهو يقف منصرفا

ـ عندك حق يا عمدة

السلام عليكم

ثم عاد الركب من جديد تجاه (بنى منصور) وفى قلوبهم شئ ما يرقص فرحا ويزغرد.

* * *

ملحق (٣):

تقول الروايات: كان العمدة السابق (زيدان) قد تزوج من (نعيمة) أخت زعيم المطاريد ليستمد منه قوته وقوة رجاله وتقوى شوكته فى القرية. ونجح فى تسليط رجال الجبل على عمدة (بنى منصور) فقتلوه وأحرقوا القرية. بل وقتل كل من تقدم للعمودية حتى أصبحت عمودية (بنى منصور) لعنة. كلعنة الفراعنة. وظلت (بنى منصور) بلا عمدة إلى أن تقدم (زيدان) لضمها إلى أبيدوس.

البيان الثانى:

الصادر من دار العمودية

بتاريخ..........

نحن (أبو ريان) عمدة العرابة وبنى منصور

قررنا منذ أمس الأول تغيير إسم قرية أبيدوس إلى قرية العرابة. كذلك تم إستبدال شعارها الخاص من الأوزه إلى الحمامه رمزا للسلام.

فليكن معلوما للجميع هذا التغيير.

وعلى الجهات المختصة العمل به من تاريخه

التوقيع

أبو ريان

عمدة العرابة وبنى منصور

الفصل الثانى

أحـداث يـوم الســوق

«وقد إعترفت بذنبى وخطئى عليك وعزيز على أن يكون هذا كهذا»
كليلة ودمنة

يقول الراوى:

«وقالت لهم سيأتيكم رجل من أصلابكم يبدل حالكم..»

١

فى ليلة من ليل القرية التى يعمها الصمت والهدوء شق قلب الليل صوت صراخ إمرأة متألمة أزعج الكلاب التى راحت تنبح نباحا متواصلا فإمتلأت القرية بالصراخ والنباح، ذعرت النساء اللاتى أيقظن رجالهن لمعرفة مصدر الصوت، ثم عُرف أن الصراخ صراخ «أمينة العامية» فاسرعت بعض النسوة إلى دارها ورحن يطرقن الباب المغلق فى قوة. لم يجب عليهن أحد فإزداد الطرق. وعندما أحست أمينة بطرقات الباب زحفت ببطنها إليهن وهى تعض الأرض بأسنانها فى قسوة وشدة حتى وصلت إلى الباب الخشبى فرفعت مزلاجه بعصاها التى تعرف مكانها جيدا بجوار الباب. فُتح الباب

فأندفعت النساء كالسيل المنهمر داخل البيت. حملن أمينة من فوق الأرض إلى فراشها ورحن يقمن بعملهن المعتاد، فحصتها إمرأة عجوز، وأشعلت إمرأة الكانون بأعواد البوص الجافة وأحضرت ثالثة الماء فى إناء نحاسى كبير وضعته فوق النار. وبقيت الأخريات فى إنتظار أى إشارة للعمل من العجوز التى راحت تهدأ من روع أمينة وخوفها.

ومع بزوغ الفجر وصوت المؤذن ينطلق من مأذنه الجامع منتشرا فى سماء القرية. أنتشرت زغاريد بعض النساء من داخل بيت أمينة مختلطا ببكاء وليد لم يفتح عينيه على الدنيا بعد.

رددت النساء خارج البيت ولد.. ولد... أمينة انجبت ولدا

وسأل الرجال ـ أمينة العامية أمه

فمن يكون أبوه؟

من بعد صلاة الفجر وحتى صلاة العشاء والرجال فى الجامع وفى الحقول وفى البيوت وفى قهوة أبو المجد وهم يتسألون عن أبيه.

ومع قدوم الليل لم يبق ببيت أمينة العامية سوى (حليمة) زوج مدنى أبو حسين التى تركت زوجها وحيدا بالبيت لتظل هى جوارها كيما ترعاها وتقم على خدمتها.

وكان بعض النسوة من الجيران يقمن بزيارة (أمينة) بين وقت وأخر حاملات الدقيق والسمن والعسل الأسود والحلبه الحصى. تجهز (حليمة) العصيدة لأمينة وتقدم لها مشروب الحلبه الساخن بالعسل الأسود. وتذبح إحدى النساء دجاجة عتيقة تقدمها مع المرق الساخن طالبة منها التهامها حتى ترم عظمها من بعد الولادة، وأخرى ترضع الوليد من ضرعها قائلة فى ضحك ـ

إشهدوا ياستات أنا أرضعت إبن أمينه.

فتقاطعها أمينة قائلة: أسمه الحويطى.. الحويطى.

وتتعجب النساء من أختيارها للأسم

فيقلن ـ شئ لله ياسيدى الحويطى

تردف المرأة المرضعة

ـ خلاص أشهدوا ياستات أنا أرضعت الحويطى أبن أمينة حتى لا يتزوج من بناتى.

وتضحك فتضحك أمينة ويضحكن معهما النساء وتقول حليمه ـ ألك بنات يامضروبه.

فترد عليها ـ لما أجيب البنات تبقوا تشهدوا يا ناس.

وتضحك ويضحكن من جديد وترد (حليمة) وهى تبصر أمينة العامية...

ربنا يبارك فيه ويحرسه لك حتى يكبر ويختار عروسه.

فترفع أمينة كفها قائلة فى سرها. آمين يارب العالمين.

* * *

ويستمر الرجال فى حديثهم وسؤالهم عن الأب، والأيام تمر مرارا حثيثا ولا حديث سوى عن الأب المجهول للحويطى الوليد.

ويصيح أحد الرجال فى قهوة أبو المجد:

- لماذا أنتم ساكتين يا رجال؟

لماذا لا تشكونها للعمدة وتطالبونه بالتحقيق فى حكايتها، وعاملتها التى تغضب الله.

ويوافقه الرجال حسن أبو جاد، وأبو المجد، وأبو هريره، وأبو صالحين، وأبو قرموط و أبو الديك وكثير من الرجال. يتكاتفون جميعا للذهاب إلى دار العمدة. وفى الطريق ينضم إليهم رجال آخرون ونساء وأطفال يسيرون جماعات حتى يقفون أمام دار العمدة فيلتف حولهم الخفراء متساءلين عما أجمعهم وجاء بهم إلى دار العمودية هكذا.

يصيحون بأصواتهم الجهورية – نريد العمدة... نريد العمدة

يخرج إليهم العمدة مطلا من شرفة الدار الداخلية يبصرهم فيصيح غاضبا

ـ ما بكم يا غجر؟

يرد عليه أبو الديك – نريد تقديم شكوى.

يحملق إليهم ومصوبا عينيه إليهم جميعا... ثم يمررها عليهم واحدا. واحدا فيراهم كثيرون ومتظاهرون فيتطاير الشرر من العينين المحملقتين.

ـ شكوى.. وكلكم هكذا بربطة المعلم.

قال أبو قرموط ـ نعم وكلنا.

يرد العمدة بسخرية غاضبة وما شكواكم يا طير أبابيل.

أجاب أبو قرموط ـ حكاية أمينة العامية

يسأل العمدة بتأفف ـ أى حكاية.

قال أبو صالحين ـ حكاية حملها وولادتها للولد.

سأل يوسف جاد ـ ومن أبوه؟

يردف أبو صالحين فى نفاق ظاهر أمام أهل القرية.

ـ القرية فى عهد جديد يا عمدتنا ونحن لا نريد لهذا العهد المبارك أن يُلطخ بزنا أمينة العامية.

قال عبادى بصوته النوبى ـ نريد أن نطهر القرية.

ظل العمدة يستمع إليهم فى تأفف ودهشه.

ثم سألهم مقاطعا ـ وماذا تريدون؟

قالوا جميعا وبصوت واحد جهورى رج القرية فأهتزت النخيل وتمايل الزرع وأزت الأبواب، وإهتزت الجدران.

ـ إقامة الحد.

سأل العمدة ـ الحد ولدينا القانون.

قال صلاح أبو أمين:

ـ القانون وحده لا يكفى نريد حكم الشريعه

قال عبادى بصوته النوبى من جديد

ـ نريد قانون الله

سأل العمدة محاورا ـ فى ماذا يارسل العذاب.

قال أبو الديك ـ كما قلنا فى زنا أمينة.

سأل العمدة فى غيظ مكتوم ـ وكيف عرفتم بزناها؟

أجابة ـ حملها وولادتها دون زواج.

صمت العمدة برهة كأنه يفكر فى شئ عويص عليه.

ثم صاح ـ سأخرج إليكم. الموضوع جد خطير.

مرت ساعة كاملة والناس بين وقوف وقعود فى قلق وإنتظار حتى خرج إليهم مرتديا جلبابه الأبيض الناصع ممسكا بيده اليمنى عصاه الخيرزان وهو يقول بصوت ضعيف السلام عليكم.

فانطلقت مدافع الأفواه تطلق فى قوة/ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

جلس العمدة فوق إحدى الدكك الخشبية بحوش داره وسأل - وكيف نعرف إنها زانيه يا مفتو الديار المصرية.

قال أبو قرموط ـ نسأل عن الطفل الذى أنجبته.

رد لعمدة ـ حسنا أتركوا لى هذا الأمر.

رد أبو المجد ـ وماذا لو رفضت الإجابة يا عمدة.

قال العمدة ـ لا فرار نقيم الحد.

قال أبو لهطه ـ حد الله.

أجاب العمدة ـ الجلد مائه جلده.

قالوا جميعا ـ الجلد مائه جلده.

الجلد مائه جلده

الجلد...

وتفرق الناس فرادى وجماعات وهم يتحدثون عن حد الزنا في الإسلام.

* * *

ملحق ٤

قالت له : أنا أزوجك نفسى.

سأل: أنت.

قالت له: أريد أن أكون أم ولدك.

سأل مرة أخرى: أنت؟

قالت له: سننجب الولد

سأل: كيف؟ ولماذا أنت بالذات؟

قالت: لأنه مكتوب أن يكون لنا ولد، ولأنه مكتوب أن يفدى ولدك البلد.

قال خاشيا: أخشى أن يكون كلامك إستهزاء، أوسمر ليل وربما جنون عقل.



قالت له: الآن أنا أعطيك نفسى.

وجذبت يده برفق وأدخلته حجرة نومها.

صاح - ماذا تفعلين؟

لم تجب. راحت تنزع ملابسها برفق ومع كل قطعة تنزعها من فق جسدها تبدو مفاتنها. راح يتطلع فى شغف مجنون إلى شعرها الثائر فى فوضى حول وجهها وعلى كتفيها، ثم إلى عينيها المتلئتين حبا وحزنا، ثم إلى صدرها المكتنز فى ثورة هائجة ثم نظر إلى خصرها الدقيق المتناسق وتأمل إستدارة الحوض واستدارة جسدها فصاح:

ـ ياالله ما أروعك!!

إبتسمت وهى تقول:

ـ لم تر شيئا بعد

ثم نزعت آخر قطعة ملابس وأصبحت أمامه عارية.

همس ـ لا أصدق نفسى.

فقالت له ـ هيت لك.

٣

فى صباح يوم السوق والقرية تمتلئ بالوافدين من العزب والنجوع المجاوره سائرين على الأقدام وراكبين دوابهم مسرعين فى سيرهم قبل شروق الشمس لحضور سوق العرابة تجمهر الأهالى أمام بيت أمينة العامية ومعهم العمدة صائحين عليها خارج الباب.

ـ أمينة... أمينة

حينما تباطأت فى الرد عليهم أسرعت الأيدى تدق الباب فى قوة. فجاءت إليهم صائحه بصوتها فى غضب: من؟ لم تتلق ردا فأردفت:

ـ مالذى جرى لكم يا أهل الشوم؟ إنتظروا.

ستحطمون الباب. عليكم اللعنة يا أهل الخراب والدمار.

خرجت إليهم قابضة بيدها اليمنى عصاها تتحسس بها الطريق وبيدها اليسرى تحمل وليدها الذى ضمته لصدرها فى رفق وحنان.

فتح الباب عن أمينة فصاح الأهالى:

ـ ها هى.

ـ الزانية خرجت.

وقفت فوق عتبة الباب تضغط بيدها على وليدها لتزيد من إنضمامه إلى صدرها. تقدم العمدة إليها ثم صاح فى وجهها الأبيض الجميل دون مقدمات.

ـ من أبو الولد.؟

تراجعت للخلف قليلا فتقدم نحوها خطوه للأمام وهو يعيد سؤاله: من أبو الولد؟

نريد أن نعرف من أبوه.

ثم أردف حينما لم يجد ردا وإجابة على سؤاله.

ـ من المجرم الذى فعلها معك.؟

لم تنبس أمينة بكلمة فانطلقت أفواه عشرات الأهالى المتجمهرين فى ثورة غاضبة.. قولى يازانية من أبوه؟ وظلت على صمتها وصمودها فأشار العمدة لبعض رجاله الذين تقدموا إليها ناز عين منها الوليد، فارتعدت فرائصها وصرخت بجنون فى محاولة للأمساك بأحدهم.

ولدى الحويطى أعطونى ولدى.

سأل العمدة فى حدة - من أبوه؟

صرخت باكيه - الحويطى.. الحويطى... أعطونى ولدى

صاح العمدة واعدا ـ لن تنالى الحويطى قبل أن تخبرينا عن الذى زنا معك.

صرخت فى ثورة غضبها:

ـ لست زانية بل أنتم الزناة.

صفعها على وجهها الأبيض الجميل وهو يصرخ: أخرسى

سقطت فوق الأرض من أثر الصفعة المدفوعة بقوة.

أردف ـ ولك عين ياعمياء.

ثم أشار إلى الخفراء فتقدم أثنان نحوها يجذبوها من ذراعيها وهى فوق الأرض مرتميه.

سار العمدة خطوات فسارا الخفيران خلفه وهما يجرانها والأهالى ملتفون حولهم فى نصف دائرة صائحين فى صوت كاد يسقط بيوت القرية الطينية

ـ من أبوه؟

قولى يازانيه من أبوه؟

وأمينة المجروره فوق الأرض الترابية تردد فى صوت عال لا يسُمع وسط صيحات الأهالى... الحويطى.. الحويطى.. ولدى.. ولدى.

هبطوا جميعا من فوق (الكوله) والخفيران يجران ذراعا أمينة الملتصق جسدها فوق الأرض فى مقاومة ضعيفة لم تصمد ضد قوى الرجلين الثورين وساروا جميعا تجاه السوق الذى إمتلأ بالناس فإزداد التفاهم وإندماجهم فى نصف الدائرة متطلعين ومبصرين هذا الحدث المثير الذى شل العقول. وعندما إقتربوا من ساحة السوق كف المتسوقون عن البيع والشراء وإلتفوا ناحية صيحات الأهالى التى عمت الكون فأسرع بعضهم إلى الجمهرة، وساروا معهم إلى الأرض الفضاء المجاورة للسوق. ثم وقف العمدة، فوقف الحشد وكف الضجيج وعم الصمت المكان.

صاح العمدة ـ هنا.

أسرع ثلاثة رجال بحفر حفرة عميقة بفئوس كانت معهم ثم إقترب العمده ودنا من أمينة المرتمية فوق الأرض فى إعياء وحزن. ومازالا الخفيران يمسكان فى قوة بذراعيها.

ـ قولى يا أمينة من المجرم الذى فعلها بك حتى يأخذ جزاءه.

وغطى الصمت ساحة السوق بما فيها من ناس ودواب ومحاصيل بغطائه للحظات ثم مزقه صراخ أمينة الباكى.

ـ الحويطى.. أريد الحويطى. أعطونى ولدى.

قال العمدة فى لؤم وحيله ـ أعطوها ولدها.

أسرع أحد الرجال بوضع الرضيع فوق الأرض جوارها وترك الخفيران ذراعيها لتهوى فوق جسد الوليد الذى شمت رائحته وسمعت بكاءه فتناولته مقبله ومحتضنه فى بكاء وأعياء. إزداد بكاء الطفل فضمته إلى صدرها ثم أخرجت ثديها وهى تخفيه بيديها والقمته فاه الطفل الذى أسرع فى إمتصاص الضرع بلهفه.

أسرعت (حليمة) زوج مدنى أبو حسين ورمت عليها طرحتها لتستر صدر أمينة المكشوف للعيون ثم أعاد العمدة عليها سؤاله لكنها لم تجب عليه فجذبها من شعر رأسها الذى إنكشف من أثر الجر والجذب ناحية الحفرة وساعده الخفراء تاركين الطفل فوق الأرض الرملية باكيا بعدما سقط من صدر أمه. إزداد بكاء الطفل الحاد كأنه يبكى أمه التى تقترب من حتفها رغما وفى وقت أشد ما تكون هى إليه. غرس حفارو الحفرة جذع نخله بها فوقف الجذع طويلا فى

ساحة السوق كشاهد قبر، ثم راحوا يردمون الحفرة بالرمال التى أخرجوها عند الحفر.

وأعاد العمدة صيحاته المتسائله: قولى يا أمينة...

قولى يا أمينة...

إعترفى...

أمينة تولول.. الحويطى.. الحويطى...

تنطلق صيحات الأهالى: ـ قولى من أبوه..؟

وتردد هى مولولة – ولدى.. الحويطى

يصيح العمدة فى غضب ـ قولى عليه ليأخذ جزاءه.

يصرخ الأهالى فى هستيريا ـ الجلد للزانية.

يجذب الخفيران أمينة ناحية جذع النخلة المنصوب كشاهد القبر فى ساحة السوق. يوقفونها ملتصقة بظهرها فى وجه الجذع ويربطونها بالحبال وصراخ الأهالى يرج الكون من حولهم.. الجلد للزانية.. الجلد للزانية ثم يرفع العمدة يده عالية ويوقفها فى الهواء فيلتقط أحد الخفراء سوطا بيده. يقبض عليه فى قوة. ثم ينزل العمده يده من الفضاء إلى جانبه فتستقر جواره. وسرعان ما تسقط يد

الخفير بالسوط فوق ظهر أمينة فتنطلق صرخه متألمه متأوه والأهالى يزأرون مرددين: واحد.. إثنان.. ثلاثة مع كل ضربه سوط ليتأكدوا من العدد الصحيح لضربات السوط وينبثق الدم من ظهر أمينة. تنادى بأعلى صوتها:

- ياحويطى يا حويطى.

أقترب الأهالى منها. أمسكوا بها. رفعوها عاليه ثم رموا بها فى بحيرة حمراء ماؤها. صرخت فى فزع راحت تغطس فى البحيرة. الماء أحمر لزج. نادت على الحويطى يا حويطى. ياحويطى. غاص جسدها فى البحيرة. أحست بالإختناق. ضربت بيدها ورجليها الماء الثقيل لتطفو على سطح البحيرة. طفت قليلا. حاولت السباحة فى البحيرة الحمراء فلم تعرف إزداد صراخها ونداءها على الحويطى. راح جسدها يغوص فى البحيرة أكثر فأكثر وهى تستغيث بيدها الممتدة فى الهواء وصوتها الذى أخذ فى التلاشى.

يا حويطى..

يا حويطى..

يا...

فجأة يظهر لها عملاق فى البحيرة. يمسك يديها فى قوة، يرفعها عاليا فى الفضاء الواسع. تنادى أمينة فى إستغاثه - جئت يا حويطى.

فيرد عليها - جئت يا أمينة.

تردف - كنت أموت غرقا.

يسألها - ما الذى أسقطك فى بحيرة الدم؟

قالت - البلد.

وأخذت فى بكاء متشنج فراح يواسيها ويهدأ من روعها

- لاتبكى. جئت إليك.

قالت - غرقت فى الدم يا حويطى.

قال - أنقذتك.

قالت - جسدى كله ملطخ بالدم.

قال - سننزل إلى النهر ونغتسل.

قالت - أين النهر؟

قال - فى الضفة الأخرى. سنذهب إليه الآن.

هاتى يدك.

وقادها إلى النهر، ثم نزلا إليه، وتلاشى الدم من جسدها فأحتضنها الحويطى وهو يقول:

ـ لا تبتعدى عنى حتى لا يجرفك النهر.

خافت فألتصقت به متشبثه. نظر إليها قائلا:

ـ مازلت جميله.

قالت ـ أهل البلد ملؤا قلبى بالحزن ووجهى بالشحوب لما قتلوك.

قال ـ بل زادوك جمالا.

قالت ـ خائفه أنا على ولدك الحويطى.

صاح فرحا ـ ولدى.

ردت مؤكدة ـ نعم. الحويطى الصغير. لقد تركته هناك وخائفه أنا عليه

قال فرحا ـ لا تخشى شيئا على ولدى. إنه رجل ويعرف الطريق..

إزدادت إلتصاقا به فشعر بسخونه جسدها فى النهر.

قبلها. فخجلت.

قالت: ـ فى النهر؟!

قال: فى النهر.

قالت: يرانا أحد.

قال : لا أحد عند النهر.

وإنهالت قبلاته عليها حتى غاصا معا فى الماء.

وصاح الناس فى قوة.. واحد وخمسون. إثنان وخمسون ويواصل الجلاد جلده ويواصل الناس عدهم وحسابهم وتكف أمينة عن الصراخ والألم. فيقف الجلاد ويعم الساحة الصمت من جديد ليمزقه بكاء الوليد الذى نسيه الأهالى فوق الرمال دون النظر إليه.

يصيح العمدة ـ هذا جزاء الخاطئين

وكل من تسول له نفسه الزنا فى هذه القرية سيكون عقابه مثل عقاب أمينة ثم يتجه الخفراء إليها لحل الحبل، لكن أحدهم يصرخ بأعلى صوته فى وجل عظيم: أمينة ماتت.

يُبهت الناس فتلجم الدهشة أفواههم، لم يكن أحد يتوقع موتها. لكن العمدة قطع دهشتهم بجبروت قلبه.

ـ إتركوها هكذا حتى تأكلها ذئاب الجبل.

عاد وعاد معه الأهالى وظل الوليد يبكى فى صراخ ويصرخ فى بكاء. وحيدا فوق الرمال بجوار جسد أمه

الدامى. لكنها تراجعت عن الجمع وأدارت وجهها نحوه ثم صاحت فى لهفه.

ـ ولدى. ياكبد أمك.

ركضت نحوه ثم إلتقطته من فوق الرمال. ضمته إلى صدرها وهى تبكى معه.

تعال ياحبه عينى.

يقف مدنى أبو حسين متطلعا إلى زوجته حليمه التى انهالت تقبيلا للوليد باكيه ثم جاءت ناحية زوجها الذى هز رأسه فى أسى قائلا

ـ والله فيك الخير يا حليمه.

إزداد بكاء حليمه وهى تحدثه بدموع ساخنه

ـ مسكين ماذنبه.

فقال لها منكساً رأسه فى حزن هيا بنا إلى البيت.

٤

فى يوم السوق هذا لم يبع أحد من الأهالى شيئا، وأيضا لم يشتر، وعاد البائعون يجرون أذيالهم فى أسى وحزن على السوق الذى فض قبل أن يبدأ، وعاد الأهالى لبيوتهم يتحدثون عما رأوه وشاهدوه. بعضهم فرح وسعيد لتنفيذ الحد على الزانيه علانيه فى ساحة السوق حتى يتعظ من لا يتعظ، ويكف الزناه عن زناهم، وكان من بين الأهالى من حمل الشفقه والندم على ما أصاب أمينه العامية أبنه الشيخ حسين. شيخ القرية السابق وخطيب جامعها. الله يرحمه. ومن نساء القرية من بكت من أجل أمينة العامية ابنه الشيخ الذى كان يعمل الأعمال ويكشف لهم عن الغيب. فى بعض الحالات. يفتح المندل فيكشف المستور ويظهر المسروق.

ماتت زوجته (أم أمينة) وأبنته فى الثامنه عشر من عمرها ولم يتزوج الشيخ بعدها. حتى توفاه الله بعامين أثنين تاركا لأمينة الدار والهم.

٥

عندما لاح ضوء الصباح وفر الكابوس الوحشى من القرية خرج الأهالى من بيوتهم وقد بدا عليهم الأعياء والإرهاق من طول السهر والتفكير فيما جرى. جاء شيخ الخفراء إلى العمدة يستأذنه فى دفن الجثه بعد مرور يوم عليها. صمت العمدة مفكرا ثم رد على الشيخ.

ـ هل نمت ليلة أمس.؟

فتح شيخ الخفراء عينيه وزاد من إتساعها ثم رد على العمدة بسؤال آخر:

وهل جاء النوم لأحد؟

قال العمدة ـ لست الوحيد إذن الذى لم ير النوم.

أجابه فى مقت ـ القرية كلها لم تنم البارحة.

هز العمدة رأسه ثم قال فى حزن.

ـ هل أخطأت يا شيخ الخفر؟

فرد مسرعا فى سخرية ـ لقد نفذت الشرع.

قال ـ فقط.

سأل ـ ماذا تقصد ياعمدة؟

سأل ـ والقانون.

قال فى تأكيد ـ أنت القانون ياعمدة.

هز رأسه مليا ثم قال:

ـ فلتدفن أمينة العامية الآن. خذ ثلاثه رجال معك وإدفنوها حيث هى وأقيموا لها بنيانا.

سأل شيخ الخفراء ـ نقيم قبرا فى ساحة السوق.

قال العمدة مؤكدا ـ نعم وليكن القبر الوحيد بالأرض حتى يراه الناس كل ثلاثاء فى السوق. وليتذكروا نهاية كل زان.

هيا أسرع وعد إلى فأنى أريدك.

خرج شيخ الخفراء من دار العمدة مسرعا يجمع الرجال الذين أمر هم بالمجئ معه وهو يلعن فى داخله العمدة وأبو العمدة وأبو اليوم الذى عُين فيه عمدة للبلد.

حمل الرجال فؤوسهم وساروا خلفه نحو السوق.

٦

فى ساحة السوق حملق الرجال بأعينهم فلم يبصروا سوى الرمال والشمس ترسل أشعتها عليها.

قال شيخ الخفراء ـ أين هى ؟ وأين جذع النخلة؟

قال رجل ـ فنسير قليلا ناحية الجهة القبلية عسانا نراها.

ساروا. ثم صاح آخر ـ الحفرة هناك.

أسرعوا الخطى فوق الرمال التى كانت تعيق سيرهم كأنها ترفض ذهابهم إليها. وأمام الحفرة وقفوا مبهوتين مذعورين وهم يتسألون جميعا سؤالا واحدا لا إجابة له: أين الجثة؟

كانت الحفرة خالية. لا أثر لجسد بها ولا لجذع النخلة. مجرد حفرة عميقة خالية بجورها الرمال المستخرجة من أحشائها صرخ شيخ الخفراء فى فزع

ـ يانهار أسود

الحفرة خاليه والجثة غير موجوده.

صاح أحد الرجال فى جنون ـ بركاتك ياست أمينة.

وأسرع يجرى بأقصى ما يملك من قوة ناحية القرية صائحا.

ـ بركاتك ياست أمنية.

وشيخ الخفراء ينادى عليه ويستوقفه كيما يعود ويثبت فى مكانه، لكنه كان قد أختفى من أمام عينيه. وجد شيخ الخفراء نفسه فى حيره وإرتباك فلم يستطع فعل شئ. صمت مفكرا ثم قال للرجلين.

ـ قفا لا تتحركا من هنا وسأذهب أنا للعمدة ليرى ما رأيناه. يلعن أبوه وش المصائب.

وأسرع الخطى فوق الرمال حاملا بندقيته فوق كتفه الأيسر إلى دار العمودية وهو يفكر كيف يستغل هذا الموقف ضد العمدة ليزيحه من أمامه ويحتل هو كرسى العمودية.

وفى اللحظات التى راح يقص فيها ما رآه هو والرجال فى ساحة السوق للعمدة كانت القرية قد خرجت إلى الساحة لترى ما رآه الرجال ولتتبرك ببركة الست أمينة. وجاء بعد حين العمدة راكبا حماره وشيخ الخفراء جوار الحمار يحثه على السير السريع بلا فائده.

رأى العمدة جمعا من الأهالى يماثل ما كان فى يوم الأمس. يوم جلد أمينة.

وصاح الخفراء للناس ـ أبعد.. وسع..

حضرة العمدة حضر.

وشق العمدة طريقا له وسط الأهالى كسكين فى بطن بطيخه، وحملق بعينين جاحظتين فى الحفرة.

قال : ـ الحفرة فاضية.

هبط من فوق حماره وهو يسأل والحمار يحرك أذناه.

ـ أين ذهبت الجثة؟ وأين جذع النخلة؟

وكأنه كان وحيدا وسط كل هذه الجموع فلم يتلق إجابة وعندما وجد نفسه يسأل ولا أحد يجيب. صاح فى غيظ ضاربا الأرض بعصاه:

ـ ابحثوا عنها فى كل الساحه.

ابحثوا لها عن أى أثر.. لابد من وجودها.

وإنتشر الناس كالدود فى كل شبر من الأرض يبحثون بأعينهم الجاحظة فى بحلقة عن جسد إمرأة وسط حبات الرمال الدقيقة فلم يجدوا لها أثرا.

قالوا جميعا ـ لا شئ هنالك.

صرخت إمرأة بأعلى صوتها:

ـ أمينة بريئه يا ناس.. أمينة بريئه.

رد عليه رجل ـ أمينة طاهره. بركاتك ياست أمينة.

قالت أخرى ـ جلدوها وقتلوها المسكينة.

قتلتم أمينة البريئه. الويل لنا. الويل لنا.

صاح العمدة بعدما إزداد غيظه.

ـ أخرسوا. أخرسوا وإلا قطعت ألسنتكم ألم تطلبوا منى تنفيذ حد الزنا على أمينة.

ألم تتحدثوا عن خطيئتها ليل نهار.

ألم تطلبوا أن تتطهر القرية فى عهدها الجديد. هل تطهرتم الآن؟

هل محت خطاياكم يا أبناء العرابة؟

إدفعوا الآن الثمن.

إدفعوا الثمن وحدكم فأنا برئ منكم أيها القتلة.

لكن أبو الديك صاح وسط الجمع:

- لا ياحضرة العمدة أنت عمدتنا وسيد البلد وحاكمها وأول من أمر بجرها وشدها إلى السوق. وحفر الحفره. وصلبها وجلدها.

قال العمدة وقد أحس بثقل ما حكم به فأبتلت ملابسه عرقا وملأه الخوف فتراجع قائلا:

أنا المسئول معكم إذن فنكفر عما وقعنا فيه من خطايا.

قالت إمرأة عمران: كيف ياعمدة وجثة أمينة أخفيت.

صاح إبن الديك جثة أمينة صعدت للسماء.

سأل صلاح أبو أمين ليكشف كذبه - هل رأيتها يا ولد؟

قال إبن الديك مؤكدا:

- أمينة طاهرة. كلنا يعرفها. كانت تقرأ القرآن. وأبوها الشيخ حسين شيخ القرية الله يرحمه.

قالت إمرأة عمران - خدمت القرية. كانت ترى لنا المستقبل.

قالت إمرأة يوسف - فكت أعمالنا وحلت عقدنا.

قالت إمرأة نوح - لقد أعطتنا الكثير.

قال يوسف جاد: - أنقذتنا من الهلاك وحذرتنا من الخطر القادم.

قال نوح ـ طلبت منا (الصحيان) واليقظة.

ردت إمرأته ـ نبأت لنا بالترمل.

قالت إمرأة يوسف ـ قالت ستحرق القرية.

قاطعهم العمدة بصوته الجهورى ـ هكذا تتحدثون عن أمينة العامية وأين كنتم من قبل؟

فصمتوا جميعا.

سأل شيخ الخفراء وابتسامة على شفتيه وما العمل ياعمدة؟

قال العمدة ـ يجب أن نعثر على جثة أمينة . على عظامها. على ملابسها.

رد شيخ الخفراء ـ واذا لم نعثر على شئ.

قال العمدة فى يأس ـ إذن فتكون أمينة العامية قد صعدت إلى السماء كما قال إبن الديك.

بهتت أفواه الرجال وأنطلقت أفواه النساء تزغرد فعمت ساحة السوق سحابة من الزغاريد ثم ركب العمدة حماره وعاد به إلى داره محدثا نفسه بهلوسات.

وتفرق الناس يبحثون عن آثار أمينة العامية.

٧

فى الظهيرة. ظهيرة يوم البحث عن جثة أمينه تجمهر الأهالى أمام دار العمدة الذى خرج إليهم فى الشرفه مخاطبا:

ـ يا أبناء العرابة الحبيبة، لم نعثر جميعا على جثة أمينة ولا على أثر لها.

يا أبناء العرابة الحبيبة أمينة العامية فيها شئ لله.

كبّر الناس مهللين. الله أكبر.. الله أكبر.

صاح أبو لهطه خارج بوابة العمدة:

ـ أمينة من الأولياء.

أمينة من الأولياء يا ناس.

وستعلمون هذا. ستعلمون ورب الكعبه.

قال جرجس أفندى كاتب الجمعية ـ أمينة قديسه. قديسه.

رددت الأفواه ـ أمينه من الأولياء.

أمينة قديسه.

قالت إمرأة يوسف ـ فلنبنى لها بنيانا.

قال عبادى بصوته النوبى ـ لكن أين جثتها.؟

قال عز العرب ـ فنتبرك بأبنها الحويطى.

وكأنهم قد تذكروا فجأة شيئا قد ضاع منهم سنوات فصاحوا: الحويطى .. أبنها. أين هو؟؟

ـ أكلته الذئاب.

ـ بل صعد إلى السماء مع أمه.

قال صلاح أبو أمين:

ـ كفى هراء يا رجال. الحويطى فى بيت عمى مدنى أبو حسين. تعتنى به حليمه.

وتنفسوا جميعا الصعداء.

سأل العمدة فرحا ـ والآن ماذا تنتظرون؟

قالوا ـ نبنى مقاما لنزورها فيه ونتبرك به حتى نكفر عن خطيئتنا.

أجاب العمدة ـ فلنبنوا لها المقام فى ساحة السوق.

صاحوا ـ بل جوار سيدى الحويطى.

شئ لله يا سيدى الحويطى

وأسرع الرجال والنساء تجاه الجامع يبنون مقاما لأمنية العامية.

٨

وفى الوقت الذى كان الأهالى مشغولين فيه بالبناء. كانت حليمة تحاول إرضاع الوليد من ثديها الجاف. وعندما دخل عليها زوجها ورآها كاشفة عن صدرها سألها باسما

ـ ماذا تفعلين يا حليمة؟

قالت فى خجل ـ أرضعه يا مدنى.

ضحك مدنى وهو يحدثها ـ وهل بضرعك لبن؟

قالت فى حنان ـ أنه يحن يا مدنى.

رفع نظره إلى السماء قائلا ـ سبحان الله رب العالمين.

سألته حليمه ـ ماذا فعل الناس يا مدنى؟

قال ضاحكا ـ يقيمون مقاما لأمنية جوار الجامع.

صاحت فى دهشه ـ وسيضيعون فيه الجثة.

قال فى ضحك ـ وأنى لهم بالجثة.

ردت حليمه ـ متأكد أنت يا مدنى.

قال زوجها ـ لقد دفنتها فى مكان لا يعلمه الجن الأحمر وأخفيت جذع النخله.

نظرت إليه فى إعجاب

ـ بارك الله فـيك يا مـدنى. لو لا فـعلتك ليلة جلد أمـينة لأكلتها الذئاب. قال مدنى وهو يفك عمامته البيضاء من فوق رأسه نازعا طاقيته التى تمتلأ بها رأسه البيضاء:

ـ إنها إرادة الله يا حليمة، ويمكن ربنا ألهمنا بفك الصلب ودفنها فى مكان أخر كرامة لها ولأبنها لأنها بريئة.

نام الوليد فوق صدر حليمه الرخو.

فقالت ـ ويابخت البرئ عند الله.

تمدد مدنى فوق الدكة الخشبية المكسوه بحصير صغير فـوقـه كليم بنى اللون بأشكال هندسـيـة مـخـتلفـة الأحـجـام والألوان.

ـ الحمد لله على كل شئ ولا تنسى أن أمينة أم الحويطى.

صكت صدرها برفق والوليد عليه قائلة:

ـ أنسى. كيف يا مدنى؟ أمينه أمه وأبوه أبن أدم لا يعلمه إلا الله.

قال مدنى ـ ستصبحين أنت من الأن أمه.

قالت فى أمل ـ ليتنى أنجبت.

رد ـ لقد رزقنا الله بعد هذا العمر العتى يا حليمه.

ابتسمت فقالت ـ فليحرسه لنا الله.

قال مدنى وهو فوق الدكه ناظرا إلى الطفل النائم على صدر إمرأته ـ الأم يا حليمة هى التى تربى وليست التى تنجب . أنت يا حليمة أمه إن شاء الله.

فرحت حليمة بحديث زوجها فضمت الوليد إلى صدرها فى حنان تحدثه فى همس ولدى يا حبيبى.. يا ضنا عينى.

فى هذه اللحظة دق الباب ففزعت حليمة وهب مدنى واقفاً واضعا طاقيته فوق رأسه العارى وسألت ـ ترى من؟

قال ـ أسمع همهمات ناس. أدخلى وسأرى من بالباب.

دخلت حليمة إحدى الحجرات وأتجه مدنى أبو حسين ناحية الباب ليفتحه فأبصر جمعا من الأهالى يتوسطهم العمدة بجلبابه الأبيض الناصع البياض وعباءته السوداء صاح مدنى أبو حسين فى خوف يكاد الناس يسمعون نبضاته: خير؟!

رد العمدة منتشيا ـ خير يا مدنى. جئتنا نتبرك بالحويطى

جئنا نتبرك بابن أمينة الطاهرة.

قال مدنى أبو حسين فى فرح ـ أهلا وسهلا تفضلوا

دخل العمدة وخلفه بعض الرجال وظل البعض خارج البيت الذى لم يسعهم.

سأل العمدة أين الحويطى؟

قال مدنى ـ بالداخل مع حليمة.

رد العمدة ـ هاته نتبرك به.

سار مدنى أبو حسين إلى زوجته حليمه جارا قدميه الثقيلتين فى خوف وفزع.

قال الناس ـ شئ لله يا سيدى الحويطى.

شئ لله يا ستنا يا طاهرة يا أم الحويطى.

بعدها سمعوا حوار مدنىّ مع زوجته حليمه.

قالت له حليمه ـ لا. لا تدعهم يأخذونه منى.

إنطلق مدنى مرددا ـ يريدون التبرك به.

قالت وهى تضم الوليد فى صدرها ـ هو ولدى.

قال مدنى أبو حسين ـ فليفعل الله ما يريد يا حليمه.

مد مدنى يده إلى حليمه ليأخذ الطفل فلم يستطع تناوله فجذبه برفق وحنان ثم حمله خارجا إلى العمدة والذين معه وتناوله العمدة منه مقبلا وراح يناوله للرجال من حوله ليقبلونه متبركين.

صاح العمدة فرحا ـ على رسلكم. إنه نائم.

قال مدنى فى حزن للعمدة ـ حليمة تريد أن تربى الولد يا عمدة.

صمت العمدة قليلا ثم قال ـ حليمة لم تنجب يا مدنى أليس كذلك.؟

هز مدنى رأسه..

أردف العمدة ـ فلتربيه حليمه يا مدنى. هو هديه الشيخه أمنية لكما.

إبتسم مدنى وانشرحت أساريره وسمع الأهالى صوت زغروده تنطلق من داخل الدار فانطلقت بعدها الزغاريد من النساء فى الخارج وعلى رؤوس بيوتهن.

وعاد الحويطى إلى حضن حليمه الدافئ بعد ما نال آلاف القبلات من الأهالى حبا وبركة.

٩

ثم جاء الأهالى إلى دار مدنى أبو حسين يحملون اللبن والقشدة والبيض والغله والحبوب والدجاج والدقيق والسمن وهم يقولون:

ـ هذه للحويطى.

ـ هذه لأجل الشيخة أمينة الطاهرة.

ـ بركاتك يا ست.

أمتلأ بيت مدنى أبو حسين بخيرات أبناء العرابة.

فقال لزوجته:

ـ لقد وهبنا الله الرزق من أوسع الأبواب يا حليمة.

ثم سجد فوق الأرض أمام الدكة الخشبية.

وضمت حليمة الحويطى إلى صدرها وهى تعنى له أغنية طالما حلمت بترديدها.

هوووه هوووه

نام.. نام وأدبح لك جوزين حمام..

الفصل الثالث

حـويـطى جـديـــد

فقال له الملك:

أرفع رأسك فإن هذا يوم هناءة وفرح وسرور..

كليلة ودمنة

يقول الراوى:

وفى ليل الليل دخل رجل غريب عن القرية المعبد المقدس مناديا المساخيط ومتحدثاً معهم.

طالبا أن يمدوه بروحهم وقوتهم.. وفى الفجر راه الناس يخرج من المعبد عملاقا راسه فى السماء وقدماه فى باطن الارض ففزعوا وفروا من امامه هاربين، لكنه راح يناديهم:

انا الحويطى..

أن الحويطى جئت إليكم من رحم الارض.

١

تفاءل كثير من الأهالى بمجئ العمدة الجديد (أبو ريان) وثملت القلوب بالأمال مؤمنه بالضياء القادم، فالعمدة رجل حق يؤمن بالأديان ويحكم بالإسلام وعنده يطمئن الناس وكثير من قوانينه وبياناته التى يصدرها لأبناء العرابة وبنى منصور تكون بعد مشورة ورأى أهل الرأى. حتى أن البلدتين هنأتا بالأمن والأمان فلم يغر رجال الجبل عليهما منذ توليه العموديه وذات يوم هرول بعض الرجال إلى العمدة مطالبين

بحقهم فى ميراث أخيهم المرحوم زيدان العمدة السابق للقرية.

دعك العمدة ذقنه بيده اليمنى وهو يقول سائلا:

ـ وهل تحدثتم مع (نعيمه) زوجه أخيكم؟

قالوا له ـ إنها ترفض أن تعطينا شيئا من الميراث وجئنا إليك نعرض شكوانا.

الميراث الذى هو حق من حقوق الله.

هز العمدة رأسه موافقا وهو يردد. صحيح الأن سأرسل إليها ونتحدث معها أمامكم. ثم نادى الخفراء طالبا من أحدهم إستدعاء زوجه المرحوم (زيدان) البندرية من الدار، فأسرع الخفير إليها مهرولا.

وحينما جاءت رأت حلقه الرجال فسألت عن الخبر.

أجاب العمدة: ـ إنهم يريدون نصيبهم فى ميراث أخيهم المرحوم زيدان العمدة.

قالت نعيمه فى حده ـ لا ميراث لهم عندى.

بهتت الأفواه وصاح الرجال ـ سمعت يا عمدة.

التفت العمدة إلى وجهها وسألها مندهشا ـ كيف؟

قالت وهى تبعد وجهها الغاضب عن وجهه المندهش:

- زيدان سجل قبل موته الدار والأرض التى حولها، والأوراق معى ومسجله فى الشهر العقارى بالبلينا بعلم الحكومه وختمها الرسمى يا عمدة.

إزدادت دهشة الرجال فقال أحدهم فى غضب.

- والأموال وبقية الأراضى.

قالت لهم فى غيظ - لا شئ لكم.

سألها العمدة فى حدة مصوبا عينيه نحوها.

- ولماذا ياست نعيمه هانم؟

قالت محركه جفنيها في سخريه - لأني حامل.

ألجمت الأفواه لكن فم العمدة إنطلق صائحا - صحيح.

قالت فى إبتسامة - وهل أكذب عليك يا عمدة؟

على العموم كل شىء سيظهر ويبدو كالشمس فى عز الظهر.

هز رأسه قائلا للرجال:

- فلننتظر حتى يأتى المولود، ومن الأن لا تتعرضون لها ولا تحدثونها فى شىء، بعد الولادة سيكون لنا شأن أخر إن شاء الله.

- هيا فض المجلس.

خرجت المرأة من دار العمدة رافعة رأسها في شموخ، وخرج الرجال الطوال منكسى رؤوسهم جارين أذيال الخيبه والهوان. وحينما هبط المساء علي القرية كعادته كل ليلة اقتحم أحد الرجال دار إمراة (زيدان) محاولا أن يجمع ويلم ما يجده من أشياء ذات قيمة، لكنها رأته فصرخت فيه.

ـ أنت قف عندك. ماذا تفعل؟

قال فى برود ـ أخذ حقى من ميراث أخى.

وحينما أبصرته ضخما ثائرا يملأ جوالا بكل ما تصل يده إليه راحت تستغيث مناديه الناس والحراس. فأسرع الخدم الذين سمعوا إستغاثتها ونداءها، وهجموا على الرجل الذي لم يفكر لحظة واحدة فى الهروب أو الفرار بما يحمل، كل ما كان يفعله ترديده لكلمات....

ـ مال أخى وميراثه. هذا حقى وحق أخوتى.

ثم جاء الخفراء وإقتادوه إلى العمدة. وقف العمدة صائحا فى ثورة ـ حذرتكم بعدم التعرض لها.

راح يدافع عن نفسه ـ هذا حقى وحق أخوتى.

وجاء أخوته يدافعون عن أخيهم السارق، وجاءت هى صائحه فى غضب:

ـ إن لم تحمنى يا عمدة من هؤلاء الأوغاد فعندى من يحمنى منهم ومنك.

برقت عينا العمدة فى غضب وصاح فى وجهها - ماذا تقولين؟

قالت فى تحد ـ ما سمعت.

سألها فى سخرية ـ ومن هم الذين سيحمونك يا هانم من أهل زوجك ومن العمدة

قالت فى هدوء ـ أبناء الجبل.

وما أن سمعوا الكلمة حتى وقفوا جميعا فى ذهول وصوب الخفراء بنادقهم فى لاشئ..

المطاريد. المطاريد.

قالت ـ المطاريد.

صاح شيخ الخفراء ـ أنت إذن على صلة بهم.

ردت ـ قويه.

سأل العمدة فى سخرية ـ عشيرتك هم.

قالت فى سخرية أيضا ـ نعم.

وأدارت لهم ظهرها وأفواههم مفغورة.

٢

فى ليله ثقيله جاء المخاض نعيمه فأسرع الرجال يهرولون حول البيت لا يعرفون ما يفعلون، لكن النساء إستطاعت نجدتها ومساعدتها على إجتياز محنتها. وعلم أخوة زيدان فأسرعوا إلى البوابة الحديدية ينتظرون معرفة الخبر القادم من أعماق الدار، وهم يدعون ويتوسلون إلى الله أن تضيع وتزهق روحها...

مرت الساعات ثقيلة. ثقيلة كالهم الضاغط على الصدر، لكن مع الوقت بدأت بشائر الفرج والفرح تبدوا للناظرين من خلال تحركات من بالدار.

وجاء الخبر الذى وقع على أهل الزوج كالصاعقة.. ولد.. ولد... وأطلق حراس الدار بنادقهم فى الهواء إحتفالا بمقدم المولود الجديد، ومرة أخرى يجر أخوة (زيدان) أذيالهم فى خيبة وخزى. وأضيئت أنوار الدار كلها لأول مرة منذ وفاة صاحبها وإنطلقت زغاريد النساء تنتشر فى الفضاء الواسع. رددت الأم كلماتها مبهمه لم يعرف أحد معنى لها سوى كلمة الحويطى...

الحويطى.

سألتها إحداهن ـ هل تقولين الحويطى. شئ لله يا سيدى.

هزت رأسها..

فقالت المرأة ـ أسمه الحويطى.

هزت رأسها ثانية.

صاحت المرأة ـ يا بشرى البلد. لقد أتاها حويطيين إثنين فى شهور.

وإمتطى أحد الرجال فرسه منطلقا نحو الجبل ليبشر الزعيم بمجئ الحويطى الجديد..

* * *

صفحة من حياة الحويطى فى أرض الشمال:

قالت أمى.. وذهب أبوك يبحث عن عمل له. ولم يعد. وحملت بك هنا فى هذه الحجرة الضيقة المظلمة. عطف على أهل الحارة أكثر حينما علموا بغياب زوجى، فساعدونى وبحثوا لى عن عمل. عملت غسالة فى البيوت وخبازه وإزداد حملى وإنتفخت بطنى وولدتك هنا فى هذه الحجرة، وأبوك مازال يبحث عن عمل. ليته كان معنا. لو كان معنا ما تركنى أعمل فى بيوت الناس.

قلت لأمى: لو كان معنا ما أطلقوا على (إبن الغسالة) وما تركنى أعيش فى الحاره مع القطط والكلاب.

أين أنت؟

أين أنت يا أبى؟ ومن تكون؟

أنا الحويطى ولدك. لماذا تركتنى وحدى؟

تعال خذ بيدى. وحيد أنا فى هذه الحياة فلا تتركنى وحيد.

تعال أيها المجرم. تعال.

* * *

وقالت له أمينة العامية

ـ هل أكتب لك كتابا ينجيك من الجن والعفاريت.

قهقه بصوت عال وهو يرد عليها.

ـ أنا أبو الجن والعفاريت.

الفصل الرابع

عــودة بـنـى منـصــور

«إنى قد أمرت أن تجلس على مثل سريرى هذا، وتلبس تاجـا، وتتـرأس على جـمـيع الأشراف....

كليلة ودمنة

يقول الراوى :
« دخل فجاة على العمدة فقال فزعا: من انت؟
قال : انا الحويطى
إنكمش خائفا وهو يردد
ابعد كل هذه السنين تعود من جديد » .

١

أرسل العمدة (أبو ريان) لأهالى (بنى منصور) فأسرع إليه الحاج عبد المبدى وأعوانه راكبين حميرهم التى لفتت أنظار المارة والجالسين فى قهوة أبو المجد. هذه القافلة المتجه لدار العمدة للمرة الثانية خلال شهرين بشكل ملفت للنظر. فى دار العمدة قال أبو ريان للحاج عبدالمبدى وأعوانه بعدما قدم لهم القهوة والشاى الأسود.

مبروك يا حاج عبدالمبدى.. الحكومة وافقت على إستقلالكم فصاح الرجال جميعا.. الله أكبر.. الله أكبر.

أكمل العمدة ـ عليكم أن تختاروا من يمثلكم للعمودية.. وبنى منصور من الآن مستقلة عن العرابة.

انطلق الرجال فى فرحة يحتضنون بعضهم بعضا وراحوا يقبلون العمدة ويحتضنونه فى إمتنان، ثم خرجوا من عنده يطلقون الأعيره الناريه فى الهواء فرحا بإستقلالهم، وتساءل الناس عن هذه الفرحة الغامرة، فأخبروا بالحدث الذى سر له وأغم البعض الأخر، وكان أكثر الذين غموا وأكلهم أكلا شيخ الخفراء الذى دخل فى نقاش حاد مع العمدة وهو يحدثه بأنه سبب ضياع (بنى منصور) من أيدى (العرابة)، ويوما بعد يوم سيضيع (العرابة) نفسها.. أغتاظ العمدة لتطاول شيخ الخفراء عليه بالقول فطرده من الدار مهددا..

وفى بنى منصور عمت الفرحة كل أرجاء القرية، فأنطلقت الزغاريد وعلقت الرايات وأضيئت الأنوار، وجاء الأهالى من كل فج عميق. من عزب أبو الوفا، وأولاد شحاته، ونجوع العكاويه، وبنى على، ... ومن البلينا، والبر الغربى.. جاءوا يهنأون أهالى (بنى منصور) بالإستقالية التى نالوها على يد عمدة (العرابة) ذلك الرجل الذى لا تضيع عنده الأمانات والذى يعدل بين رعيته.

البيان الثالث

الصادر من دار العمودية

بتاريخ.............

نحن (أبو ريان) عمدة العرابة وبنى منصور...

قد تسلمنا اليوم إستجابة الحكومة لطلبنا بشأن إستقلال (بنى منصور) من عمودية، (العرابة) وعموديتنا لذا تصبح (بنى منصور) من يوم غد مستقلة عن (العرابة) بأهلها وبيوتها وأراضيها ومواشيها وكل من عليها، وتخضع لحكم عمدتها.. ولها أن تختار عمدة من بين أبنائها فى حرية وديمقراطية لا يعارضهم فيها أحد.

وعليه وجب تنفيذ طلبنا وأمر حكومتنا المباركة بإستقلالية (بنى منصور) إبتداء من صباح الغد منذ الساعة الثانية عشرة ظهراً..

وعلى جميع الأهالى والجهات المعنية التنفيذ..

التوقيع

أبو ريان

عمدة العرابة

ووزع الشراب الأحمر السكرى على كل الموجودين فى (بنى منصور) كبيرا وصغيرا. رجالا ونساء وأطفالاً حتى الصائمين منهم. وذبحت الذبائح وإمتلأت بيوت قرية (بنى منصور) باللحم وأشتعلت الأفران والكوانين وخبزت النساء خبزها الطازج وأعلن كبار القوم عن الولائم بهذه المناسبة واستطاعوا بحسن رأيهم ورجاجه عقلهم وإتفاقهم التام على إختيار الحاج عبدالمبدى عمدة لهم. فبدأ عهد جديد يمضى على (بنى منصور) بعيدا عن حكم أبناء العرابة. وظلت العلاقة بين الأهالى فى القريتين علاقة القربى والنسب والدم فلم يشوبها شائبة اللهم إلا من بعض المتعصبين الرافضين لهذا الاستقلال، والذين يعارضونه بأصواتهم الجهورية فى الطرق والأسواق والتجمعات وفى قهوة أبو المجد. ناقدين وساخطين على تصرف العمدة (أبو ريان) غير المتعقل والذى أضر البلد ضررا بالغالن تظهر أضراره إلا بعد حين. وراح بعضهم يبحث عن الأسباب التى دفعت العمدة إلى إعادة (بنى منصور) لأهلها وفصلها عن قريتهم، فأكتشف بعضهم أن جد العمدة لم يكن من أبناء (العرابة) وأن أصله شماليا فر هاربا اليهم، وقد احتضنته القرية وأوته وعاش فى كنفها وخيرها بين أهلها وحبهم ومودتهم وتسامحهم حتى رد

جميلهم بهذه الكارثة التى فرقت القريتين بعدما كانت حلم العرابة الذى حققه العمدة البطل المناضل (زيدان) وقدم روحه وحياته ثمنا غاليا لهذه الوحدة الإندماجية.

أخذ الناس فى كل شبر يناقشون فيما بينهم ما جرى وما سيجرى نتيجة إنفصال بنى منصور عن العرابة ويبحثون عن ما يمكن أن يجرى ويحدث للبلدين من أحداث.

٢

مضت الأيام تسير.. بطيئة لا يوقف زحفها شئ، والعرابة ترافق الأيام فى سيرها فتمضى حياة الناس فى ملل وكآبة، ولا شئ هنالك جديد.. فكل شئ هادئ.. هادئ إلى أن قطع الهدوء صراخ النساء فى دوار العمده فجر يوم الجمعه، وإنطلق الخبر بين الناس كإنطلاق النار فى الهشيم...

العمدة قتل...

فصلت رأسه عن جسده، وعرف ناس البلد أن زوجه عمدتهم (أبو ريان) إستيقظت من نومها فجر الجمعه لتجهز

لزوجها الماء الدافئ للإستحمام فوجدته جسدا بلا رأس، فأطلقت صراخها وعويلها، وسرعان ما التف حولها الخفراء والأهالى الذين شاهدوا جثة العمدة مقطوعة الرأس. إنفجرت بركانات الفوضى فى الدار والقرية، وأخذ البعض يبحث عن رأس العمدة فى الدار وحولها فلم يعثروا لها على أثر كأنها غاصت فى باطن الأرض، وأسرع شيخ الخفراء إلى التليفون. قبض عليه فرحا كأنه طائر ضاع منه ثم وجده فجأه أمامه. ملأته الفرحة وهو يخبر المأمور بالحادثة التى إستيقظت (العرابة) عليها. فجن جنون المأمور الذى راح يسب ويلعن ذلك اليوم الذى قذف به إلى الجنوب وفى (بنى منصور) وفى عز الفرحة التى تغمر القرية كالطوفان الهادر إستيقظ الحاج عبدالمبدى من نومه قبل أن يصلى الفجر على الصراخ الآتى من (العرابة) والذى نقله بعض الأهالى لبعضهم كالعدوى. هرول خارجا من الدار ليرى سبب هذا الصراخ والعويل فإذا به يرى رأس (أبو ريان) معلقا بالبوابة الحديدية لداره.

جاءت الشرطة إلى القريتين وراحت فى تحقيق حول الجريمة النكراء التى أصابت الأهالى بالوجوم والكآبة والحزن والتساؤل الدائم..

لماذا يقتلون (أبو ريان) وهو رجل حق ورجل سلام؟ لم يظلم أحد؟! لكن من يكون صاحب هذه المصلحة وككثير من الحوادث والجرائم التى لم تتوصل الشرطة فيها إلى شئ أقفلت أوراقها وأقفلت أوراق مقتل العمدة..

ثم جاء أمر ركوب العمودية إلى شيخ الخفراء الذى إمتلأ قلبه بالفرح، ذلك الذى ينتظره سنوات وعمل على تحقيقه بكل الأساليب، لكنه خشى فى هذا اليوم الحزين ان تتسكب منه فرحته فيراها الناس، فأغلقها بسداده محكمة ووقف بين الأهالى يتلقى العزاء الذى أستمر سبعة أيام متتالية وكله حزن ودموع.. ووسط تجمع الناس فى (المندرة) يستمعون إلى صوت القرآن كانت الفرحة ترفرف بجناحيها فى صدر شيخ الخفراء فمقتل العمدة وفصل رأسه عن جسده خدمة قدمت له من أصدقاء طالما تعاون معهم ومحدثاً عن أماله وأحلامه فى مساعدتهم لو إمتلك الأمر فى يديه. أنه واثق أنهم خدموه خدمة العمر، لكن ماذا بعد ذلك؟ سؤال كان يؤرقه فى عز الفرحة ويعكر عليه صفو نشوته..

* * *

صفحة من حياة الحويطى فى أرض الجنوب:

.... شد حيلك يا حويطى

ويأتيه من جديد صوت شيخ الخفراء، والحويطى لا يفهم من حديثه شيئا، لكن اللقاءات تتكرر ويدور بينهما حوار قصير بكلمات قليلة حتى يطلب منه الشيخ أمراً فيأخذه لمكان قصى بعيدا عن العيون والبصاصين ويحدثه من جديد.

- اسمع يا حويطى.. لقد جئت نجدة للبلد نريدك أن تخلصها من الظلم والجبروت.. لقد رأيت بعينيك كل شئ..

٣

هبط من الجبل الجنوبى بضعة رجال لمقابلة العمدة الجديد فى داره، فإستقبلهم مرتعدا ثم أجلسهم فى (المندره) وهو يوصد الأبواب.

قال أحد الهابطين من الجبل فى سخرية:

ـ خائف أنت يا عمدة.

قال مرتعدا ـ عليكم.. لامنكم.

ابتسم الرجل وهو يقول ـ رجل يا عمدة.. رجل يا عبد الرحيم.

قال فى صوت خافت ـ تعرفونى جيدا.. لست غريباً عليكم..

قال أحدهم فى تأكيد ـ رجلنا وإبن رجلنا.

قال متذللاً وهو يفكر فى معنى جملته وإبن رجلنا.

حدث نفسه: إبن ملعونة وهل كان أبى رجلكم يا عصابة الهمج.

ثم صاح لهم ـ لعل الزعيم يرضى عنى

رد أحدهم ـ هو راض ما دامت أخته وإبنها الحويطى فى سعادة، وأنت تقدم لهما كل ما يريدان.

قال فرحا وإبتسامة على شفتيه تتراقص فى نشوة:

ـ خادم أنا للزعيم وأخته والحويطى.

قال الرجل ـ وما دمت خادما لزعيمنا فهو يقدم لك كل عون ومساعدة.

ضحك مقهقها ثم أردف – كالتى قدمها لك منذ أيام.

قال العمدة – أشكروه وقولوا له عبد الرحيم سيأتى إلى الجبل ليقدم الشكر خصيصا على ما قدمه من خدمات والأن لكم وللزعيم هدية خاصة.

دخل إحدى الحجرات، ثم خرج حاملا صندوقا صغيرا.

قال – هذا الصندوق هدية متواضعة منى.

تناول أحدهم الصندوق. فتحه. سأل: ماذا فيه؟

قال العمدة ـ ذهب زوجتى هديه متواضعه.

إبتسم الرجل قائلا ـ لعله يقبلها.

توسل العمده ـ أرجوكم.. أرجوكم ليقبلها منى حتى آتيه فى الجبل.

نهض الرجال وهم يقولون فى صوت واحد ـ بالإذن يا عمدة ثم اختفوا فى ذيل الليل.

* * *

جاءت زوجة (عبد الرحيم) العمدة إلى زوجها مهروله وهو يغط فى نوم القيلوله..

ـ إلحقنى يا عمدة سرقونا.

هب العمدة من رقدته فزعا وهو يسألها ـ من يا إمرأة؟

ردت باكيه ـ سرقوا مصاغى.. لابد من إبلاغ المأمور.

تنهد العمدة وصمت.

قالت زوجته ـ لم تتحرك يا رجل وأنت العمدة.

قال وهو يعود لنومه ـ لم نسرق يا إمرأة.

عاجلته ـ صندوق مصاغى غير موجود.

قال ـ أخذته أنا.

إرتاح قلب المرأه فسألته ـ اين هو؟

قال وهو يرمى بالغطاء على وجهه.

تبرعت به للمجهود الحربى.

وما أن سمعت جملته حتى صرخت.. يا خرابى..

* * *

أراد (عبد الرحيم) أن يثبت وجوده ويلفت أنظار الناس إليه فأصدر بيانه الأول، الذى قرر فيه تغيير إسم القرية من (العرابة) إلى (عرابة أبيدوس) وبذلك يكون قد جمع للقرية

عهدين ودمجهما معا عهد القرية حينما كان إسمها أبيدوس.. وعهدها حينما كانت العرابة..

وخطب فى الناس بأنه سيسير على سياسة عمدتيه السابقين فإنهما كانا من أحسن الرجال وأخلص الرجال.

ولم تمر الأيام إلا وقد بدل العمدة شعار قريته من الحمامة إلى الكلب عنوانا للأخلاص والوفاء...

* * *

الفصل الخامس

بيت أمينة العامية

«فلما بلغنى هذا القول، وعرفت عذره ونقض عهده، أقبلت إليك لأقضى حقك، وتحتال أنت لأمرك»



يقول الراوى:

وياتيه من جديد صوت شيخ الخفراء..

والحويطى لا يفهم من حديثه شيئا، لكن اللقاءات تتكرر ويدور بينهم حوار قصير بكلمات قليله حتى يطلب منه الشيخ امرا فياخذه لمكان قصىّ ويحدثه.

- أسمع يا حويطى.. لقد جئت نجده للبلد نريدك ان تخلصها من الظلم والجبروت لقد رايت بعينك كل شئ.. فهل ترضى بحكم العمدة للبلد.

ويهز الحويطى راسه موافقا ورافضا ويخبره شيخ الخفراء بالأمر.

اقتله..

اقتله..

اقتله..

١

ويصرخ العمدة عبدالرحيم فى حوش داره فزعا وهو يدور هربا كثور رأى سكين الجزار فأحس بنهايته.

لا.. لن تقتلنى.. مهما فعلت فلن تقتلنى يا حويطى..

لقد قتلتك أنا ونلت مكافأة من الحكومة. لا زلت أحتفظ بها

فى حافظتى قتلتك يا حويطى ودفنت أمامى.. لن تقتلنى.. لن تقتلنى.

٢

واحد.. أثنين.. حرجى مرجى.

أنت حكيم واللاتمرجى.

أنا حكيم بأداوى الناس.

عندى حقنه من الإزاز

العيان أعطيه حقنه

والغلبان أعطيه لقمه

نفسى أزورك يانبى

يا اللى بلادك بعيدة

فيها أحمد وحميده

حميده ولدت ولد

سميته عبد الصمد

مشيته على المشايه

خطفت راسه الحدايه

حد يابد يا راس الحدايه

هوا ولد واللا بنت

هو ولد زى القرد

أطلت بوجــهـــهـــا القــديم من فم البــاب وراحت تنـادى الحويطى.

- يا حويطى.. يا حويطى.

ألتفت إليها صبى من الصبيان الذين كانوا يلعبون لعبة (أحمد وحميده) فى الفضاء أمام وسعاية الجامع رد عليها بصوت مسلسع: نعم.. نعم يا أمى.

سمعته أمه فأمرته بالمجئ إليها فى الحال - تعال. أسرع.

أجاب - ألعب مع الأولاد

صرخت - عجل.

شعر الصبى أن الغضب بدأ يستولى على أمه فـأسرع الخطى إليها تاركا أترابه يكملون لعبتهم مع (أحمد وحميده)

التى ولدت ولدا. وأمامها وقف بجلبابه الطويل المتسخ بالتراب وبقع البلح الداكنه اللون، ثم سألها عما تريد منه فى رنه حزن طفولى.

- ماذا تريدين يا أمى؟ كنت ألعب.

قالت له - تعال لتعط أباك الطعام.

قال فى غضب - الأن وقته.

قالت - حان موعد الغداء.

قال: كنت تنتظرى قليلا.

قالت: أعط أباك الطعام وعندما تعود أكمل لعبك مع الأولاد.

قال فى خوف - يكونون عادوا لبيوتهم.

قالت فى إبتسامة مصطنعه حتى لا تغضب الصبى.

- لو عادوا لبيوتهم سأقص لك حكاية جديدة

إنشرحت أساريره ثم رد.

- وإذا لم يعودوا ستقصى لى الحكاية أيضا

قالت باسمه وقد ظهرت بقايا أسنانها.

ـ سأقص لك الحكاية.

راحت تلف له الطعام فى قطعة قماش نظيفة وهو ينظر إليها ثم سألها ـ أمى.. نفسى أكون حكيم أداوى الناس.

ضحكت وهى تنظر إلى سقف الحجرة الطينى تدعو له

ـ يارب أشوفك حكيم قد الدنيا.

قال والإبتسامة تملأ وجهه الصغير.

«والعيان أعطيه حقنه

والغلبان اعطيه لقمه»

قالت له ـ هذا كلام الأغانى واللعب.

سأل ـ ماذا أعطيه؟

قالت ـ ما يطلبه منك.. المهم تعطى يا ولدى.

هيا خذ الطعام وأنتبه وأنت تعدى القنا.

أجاب ـ حاضر.

ويخرج من الباب بخطوات بطيئة محملقا فى الأولاد الذين يواصلون لعبهم دونه ثم صاح فيهم:

ـ لا تمشوا

ثم صاح فيهم:

ـ لا تمشوا سأعود حالا.

لم يجبه أحد من الرفاق وظلت أعين الأم تراقبه وهى تدعو له بالسلامة.

ـ يارب أحفظه من كل سوء.

يارب أحفظ الحويطى إبن أمينه.. يا كريم.

٣

وتقول له حليمه زوجة مدنى أبو حسين.

ـ كان جدك صالحا وكانت أمك مؤمنه.

وقال له مدنى أبو حسين زوج حليمه.

ـ أمك تزوجت قبل ولادتك من رجل عظيم رفضت أن تصرح بإسمه خشية عليه من المطاريد.

قالت حليمة ـ السر دفن معها يا إبنى.

قال مدنى ـ كان أبوك رجلا.

قالت حليمه ـ قالت لنا عليه، لكننا لم نعرف من كان.

قال مدنى ـ حرمنا الله من الخلف وها هو أكرمنا بك فجئت إلينا من باطن الأرض.

تضحك حليمه وترد على زوجها.

ـ باطن الأرض.. ما هذا الهراء الذى تقوله يا مدنى للولد يبدو أنك بدأت تخرف.

قال مدنى ألم تجدينه فى أرض السوق.

قالت حليمة ـ صه يا مدنى وكفاك تخاريف أمام الحويطى..

٤

دخل الحويطى الدار بجلبابه المتسخ وطاقيته فوق رأسه حاملا الكراس والقلم مناديا: أمى.. أمى حليمه أين أنت؟

ومن خلف طبالى أرغفه العجين المرصوص تحت الشمس ترد عليه ـ ما بك يا حويطى. هل عدت من الكتاب.

هرول إليها وتعلق برقبتها وهو يتمرجح بها يمينا ويسارا وتصرخ هى فى سعادة وفرح.

- يا ولد.. يا ولد ستلخبط الخبيز.

ويكف الحويطى عن تعلقه برقبه حليمه فيقف أمامها مقلدا صوت شيخ كتاب القرية.

- الله يفتحها عليك يا حويطى.

أنت الآن أتممت حفظ العشر الأخير.

قل لأبيك مدنى أبو حسين سيدنا الشيخ سيأتى الليلة بعد العشاء.

تنهض حليمه فور سماعها للحويطى تحتضنه فى صدرها ثم ترفعه عاليا وهى تقبله مردده ماشاء الله ما شاء الله والحويطى يصيح ضاحكا - الخبيز يا أمى.

وتتذكر حليمه خبيزها فتتركه برفق فوق الأرض وتعود إلى تقريص عجينها ورصه فوق ألواح خشبيه تحت أشعه الشمس الحارة.

يسأل الحويطى - أين أبى؟

فترد عليه - فى دكان (أبو دراع)

يصيح -سأذهب إليه لأخبره

يخرج الحويطى مسرعا بعدما رمى بكراسة وقلمه فوق الدكة الخشبية وفى نفس اللحظة تدخل إحدى السيدات المتوشحه بالسواد الدار فتراها حليمه فتصيح فيها.

تأخرتى على كثيرا. لقد قرصت العجين

قالت المرأة ـ ما بال ولدك الحويطى.

فتقول حليمه ـ لقد حفظ القرآن يا نفيسه.

٥

فى القصر. كما كان الناس يطلقون على دار (نعيمة أمتطى ولدها (الحويطى) ظهر (أبو دومه) أحد رجال خاله وسار به الرجل على قدميه ويديه كالحمار... والحويطى يصفعه بيده صائحا حا.. حا.

يرد أبو دومه فى إنكسار:

ـ أنا حمار يا سيدى الحويطى.

فيجيبه الحويطى ـ نعم أنت حمار وأبو حمار

وتأتى على أثرهما (نعيمه) ناظره إليهما فى غيظ.

ـ كفاكما لعبا.

فينهض الرجل حاملاً الصبى برفق وهو يرد عليها متلعثما.

ـ سيدى الحويطى أراد اللعب.

لم تعره إنتباها وهى تجذب إبنها:

ـ تعال يا حويطى.. ألم تكبر بعد.

قال الصبى – لماذا يا أمى.؟

قالت – أريدك أن تكبر وأن تترك اللعب..

أنت لم تخلق للعب.. هناك أمور كثيره أمامك.. العموديه.. البلد... الحكم.

قال ـ لا أفهم حديثك يا أمى.. فى كل مره تحدثينى بأشياء لا أفهمها.. قال الرجل الواقف مرتعدا: يا ست هانم ما زال طفلا.

برقت عيناها وتتطاير منهما الشرر فصاحت فى غضب.

مازلت واقفا يا جحش.

إذهب وقبل أن تنهى حديثها كان الرجل قد تلاشى كالدخان من أمامها..

٦

قال لحليمه: أنا ابن من؟

قالت فى حزن: أنت أبن أبوك وأمك؟

سـألهـا: أما أمـى فـأنـا أعرفـهـا، والناس يقـدسـونهـا ومن أجلها يحترمونى ويقدرونى. لكن أبى من يكون؟

صمتت ولم تجب فصاح ـ أين أنت يا أبى؟

نهضت حليمه من جلستها وأخذت تهدأ من روعه، لكنه كان يدور كالساقيه فى حوش البيت صائحا فى بكاء أبى.. أبى.

تعال.... تعال

دخل عليهما مدنى أبو حسين فسمع نداءه فرد عليه.

ولدى يا حـويطى.. أنا أبوك وجـدك وعـمك.. لا تبكى يا ولدى هكذا أرجوك. أنك تقطع قلبى. تمزقه.

إقـتـرب الحـويطى من مـدنى أبو حـسين وأمـسك بـه فى توسل.

ـ أرجوك عرفنى من يكون أبى.

قال مدنى أبو حسين وهو يحتضنه مقبلا.

ـ ليتنى أعلم.. ليتنى وسيدى الحويطى لا أعلم.

قال الحويطى فى إنكسار وكأنه قد تذكر شيئا ما.

ـ الأسبوع المقبل مولد سيدى الحويطى.. سأذهب إليه وأساله عن أبى.

قالت حليمه متذكره ـ صحيح يا مدنى الأسبوع القادم المولد.

قال مدنى رافعا يديه للسماء ـ شئ لله يا سيدى الحويطى.

قالت حليمه ـ هل تتذكر يوم هبوطه من السماء.

شدت جملة حليمه الحويطى فسألها.

ـ هبط من السماء هل هذا الحديث صدق. لقد سمعته ولم أصدقه قال مدنى أبو حسين – لقد رأيناه جميعا... كل أهل القرية.

دنا منه الحويطى وهو يقول: كيف رأيتموه؟

قال مدنى ـ كانت القرية غارقه فى الظلام. لا شئ بها يضئ ولا شعاع نور هنالك. خرج الناس من بيوتهم جميعا.

كان القمر مخنوقا.. ثم رأينا سيدى الحويطى. يهبط من السماء بجناحين وفى يده عصا ما أن يلمس بها شيئا إلا ويضئ كالقمر. وراح يلمس بها بيوت القريه بيتا بيتا وتضئ البيوت بيتا .. بيتا حتى أضيئت كل البيوت عدا بيتا واحد لم يلمسه الحويطى بعصاه.

سأل الحويطى فى لهفه ـ بيت من؟

قالت حليمه ـ بيت العمدة لأنه كان ظالما.

سأل الحويطى ـ وأين ذهب الحويطى. هل صعد للسماء مرة أخرى؟

قال مدنى أبو حسين ـ لقد هبط على الجامع وجثم فوق قبه المقام.

قال الحويطى ـ سأضئ أنا له شمعه.

صفحة من حياة الحويطى فى أرض الشمال...

قالت أمى: أبيدوس بلدنا وبلدك وبلد أبوك. أرضنا فيها. وبيتنا لا يزال هناك. أخرجنا العمدة من قريتنا لأن أباك وقف أمامه. رفض أن يرضخ لطالباته إنما ماذا يفعل وحده أمام القوة. والجبروت السلطة. خرج وكله تصميم أن يعود للبلد

مـرة أخرى، لكنه خـرج ولـم يعد لـلآن لم يعـد لكنه سـيعـود.. سيعود.. لأبيدوس سيعود للقرية.

٧

وتتكاثر شـمس الأيام ويتوالد الليل والنهـار. ويقـول مـدنى أبـو حـسين لـزوجـتـه حليـمــه التى إزداد وزنهـا وبطئت تحركاتها..

ـ هل تلاحظين ملامح الحويطى؟

قالت حليمه – ولدى.

قال مدنى ـ أنه يذكرنى بالحويطى.

ضحكت حليمه وهى تتمتم/ شئ لله يا سيدى الحويطى.

صاح مدنى ـ لا أنام أقصد سيدى الحويطى بل أقصد الحويطى الغريب.

قالت حليمه فى وجل ـ من؟

رد عليها فى تأكيد ـ نعم الحويطى قاتل العمدة زيدان.

هزت حليمه رأسها مردده ـ الحويطى المجذوب

ولقد فكرتنى به يا مدنى.. الله يرحمه. ألف رحمه.

قال مدنى ـ لم يكن مجذوبا يا حليمه.

قالت حليمه ـ تقصد يكون.

هز رأسه فأدرقت ـ تزوج أمينه العاميه. الله يرحمها.

قال مدنى أبو حسين فى همس ـ الله أعلم.

صمتت حليمه مفكره وهى تستعيد ما ضيها وماضى أمينه وماضى البلد.

٨

وعندما قابلها نظرت فى عينيه فأبصرت ماضيها

قالت ـ أشعر أنك لست غريبا على . فمن تكون؟

قال لها الحويطى ـ أنا الحويطى.

قالت فى دهشة غير مصدقه:

ـ وهل يعقل أن تعود لى من جديد ياحويطى بعد أكثر من عشرين عاما تأتينى من جديد وتوقظ المارد النائم داخى.

لماذا جئت بعد كل هذه السنين؟

قال وهو يقف أمامها فى شموخ.

ـ جئت من أجل الحويطى.

تقدمت نحوه، لمسته بيدها، إزدادت إقترابا منه.

قالت له فى همس ـ أنا فى شوق إليك.

إبتعد عنها قليلا.. إبتسمت له. أعادت قولها من جديد.

ـ فى شوق إليك.. لم أعرف للحياة طعم منذ تلك الليلة.

صاح فى استغراب ـ أى ليله؟

قالت ـ هل نسيت.

صمت لم يجبها، ثم فى همس قالت:

ـ الليلة التى رويت فيها أرضى.

قال صارخا ـ لم أرو أرضاً لأحد.

قالت بإسمه وفى دلال ـ بل رويت أرض نعيمه وبذرت فيها البذور.

صاح فى غضب ـ أجننتى..

ردت فى أسى ـ أشعر أنك غريب وقريب..

ربما السنين قد...

قاطعها ـ أى سنين.. لقد جئت إليك من أجل..

قاطعته ـ أنت خيال.. وهم... شبح الماضى يعود لى أضغاث أحلام، هل تقذفنى السنين فى بئر الأوهام. من أنت؟ قل لى من أنت؟

قال الحويطى ـ أنا الحويطى.

قالت وبعد كل هذه السنين يا حويطى لا تعرف نعيمه.

لقد مات العمدة وكبر الولد.

قال ـ أى ولد أى عمدة؟

قالت ـ الولد الذى نبأت بقدومه.

أدار ظهره وخرج يائسا من حوارها.

نظرت إليه.. راقبته ثم صاحت بأعلى صوتها.

ـ يا حويطى؟

ـ يا حويطططططى..ى...ى....ى.

٩

هب الحويطى فزعا من نومه منطلقة منه صرخات أتت علي أثرها حليمه ثم أتبعها زوجها مدنى. راحت حليمه تهدأ من روع الحويطي مبسملة ومحوقله. نظر إليهما. رأي الخوف والفزع علي وجهيهما. حاول جاهدا أن يبتسم لهما ويطمأنهما.

قال الحويطى ـ كابوس

ردت حليمه ـ إستعذ بالله.

قال مدنى ـ خير إن شاء الله.

قال الحويطى ـ حلم غريب.

رد مدنى ـ ماذا رأيت. اللهم إجعله خيرا.

قال الحويطى: رأيت إمرأة فى صحراء. تتحسس خطاها بعصا قطعت من شجرة يابسه، وكلما سارت خطوة نبت في العصا ورقة خضراء. رأيتها فرحت أتابع خطاها وإزدهار العصا مع خطواتها. لكن فجأة ظهر ذئب جائع تشمم رائحتها فأسرع ليفترسها. رأيته صرخت أحذرها لكنها لم

تسمعني فأسرعت نحوها أنقذها من االذئب الذى هجم على ينهش لحمى.

رحت أصارعه والدم ينزف منى.

قالت حليمة ـ ما دام الحلم به دم فهو فاسد.

قال مدنى ـ لكنه حلم غريب للمرأة ذات العصا المورقة.

سألت حليمة ـ كانت عمياء؟

قال الحويطى ـ لا أعلم ولكن يبدو عليها ذلك و إلا فلماذا تحسس خطاها بالعصا.

قال مدنى دون حذر - أظنها ثم أنتبه فصمت راقبه الحويطى من فوق فراشه فنهض واقفا أرض الحجرة وهو يردف له ـ تظنها أمى. أمينة.

صمتوا جميعا.

ثم قال الحويطى - إنها هى قلبى إستراح لها وأنا أراقبها فى الحلم. ولقد راودنى هذا الحلم.

مدنى ـ لا تشغل بالك بأضعاث الأحلام وإقرأ قرآنك ياولدى.

قالت حليمة ـ نم يا ولدى وسأكون جوارك فوق الأرض.

وفى الصباح إرتدى الحويطى ملابسه وقال لحليمة.

ـ سأذهب إلى بيت أمينة.

صرخت فزعة فى وجهه ـ لا يا ولدى. لا تذهب.

وحاولت أن ثنيه عن عزمه وترجعه. لكنه وقف أمامها متسائلا

ـ لماذا يا أمى؟ لماذا؟

تراجعت عن ثورتها وأجابته فى حنان - أخشى عليك الوحوش والهوام.

قال الحويطى - أنت مثل أهل القرية تؤمنين بالخرافات والأكاذيب. بيت أمينه ليس موحشا وليس به وحوش وهوام.

أكدت حليمه للحويطى - كانت تعيش معهم يعلمونها السحر ورؤيه الغيب. إبتسم الحويطى وهو يحدثها - كنا أطفالا وكنت تخوفوننا من بيت أمينه.

بيت الأشباح والهوام. ومن دخله لا يخرج أبدا.

صاحت ـ نعم يا ولدى هو الحق.

قال فى ابتسامته البيضاء الدائمة على شفتيه.

ـ وما أدراك يا أمى أننى لم ادخله من قبل.

فزعت فاندفعت نحوه تتحسسه وهو فى إندهاش متسائل.

ـ ماذا؟

فتسأله ـ هل دخلت البيت ؟ هل أنت بخير.

إزدادت ابتسامته البيضاء وهو يردد:

ـ أنا بخير يا حليمه يا عجوزه ولاشئ فى بيت أمينه وسأذهب الآن إليه.

فأنا فى حاجة لشم رائحة أمى.

إنسلخ الحويطى من بين أيدى حليمه وخرج من الباب متجها إلى بيت أمينه العامية

* * *

فى بيت أمينه العامية المهجور منذ سنوات. المتساقط الجدران. ملجأ الحشرات والوطاويط. وسكن الليل الدائم. دخل الحويطى من بابه الخشبى مكسور المزلاج.

راح يملأ صدره بهواء البيت العتيق.

حدث نفسه – أشعر براحه هنا.

أخذ يجوب حجرات البيت المهجور. يتحسس الجدران المتساقط ـ دهانها الجيرى. ويلمس كل شئ ويشم كل ماتلمسه يداه. حتى وجد صندوقا خشبيا كبيرا. واصل حديثه ـ صندوق ملابس أمى.

فتح غطاء الصندوق. صدأت المفصلات. فى وسط الهدوء ورائحة الموت أصدر غطاء الصندوق أزيرا. رأى أقمشة عطنه

وأوراقا متفرقة. أخرج الأوراق وأغلق الغطاء على الأقمشة. جلس بجوار طاقة صغيره تسلل ضوء أبيض منها. راح يرى بعينيه ما كتبته العمياء.

كلماتها واضحه لها خط جميل.

أعاد مواصلة الحديث - هل هذا خطها؟

خطك يا أمينة؟

معقول معقول أن يكون خط عمياء لا ترى. أم هناك من كان يكتب لها.. صمت ثم أردف وهو يتابع الرؤية.

- لا أظن فأنت صندوق أسرار يا أمينه.

(أ)

لمست اليوم يد الحويطى. قرأت له الطالع. لم يصدقنى. لكن حينما أخبرته بما جرى له ذهل.

قلت له - والآن هل أنا عمياء.

رد على ساخرا - بل أنت أم المبصرين.

(ب)

رأيت أبن الحويطى قبل أن يولد. تمينت أن أكون أمه فطلبت منه أن يعطينى الولد. ظننى مجنونه.

قلت له ـ على سنه الله ورسوله.

وافق. عقد على . زوجنى نفسه وزوجته نفسى. لم نكن فى حاجة إلى شهود لأن (أبيدوس) لا تعترف به.

(ج)

كان الحويطى يأتينى كل ليلة. يقدم لى ما أطلبه وأقدم له ما يطلبه أحببته. وأحبنى. نعم الزوج كان لى.

(د)

للحويطى أحلام كثيرة. وكثيرا ما تتشابه أحلامه مع أحلامى وربما نكون قد إلتقينا قبل هذا عبر الحلم.

(هـ)

كثيرا ما يحدثنى الحويطى عن خوفه من الموت قتلا. بحثت فى أوراقى على النهاية فعرفت صدق خوفه.

....

توقف الحويطى عن قراءة بقية الأوراق. قال لنفسه الآن أنا فقط الذى يعرف أبن من أكون أنا. عاد للصندوق فتح غطاءه وأعاد الأوراق لباطنه المظلم ثم خرج إلى النور.

الفصل السادس

عــودة العمـوديــة

«أيها الملك إنك فى منازل آبائك وأجداداك من الجابرة...»

كليلة ودمنة

يقول الراوى:
سمع الفلاحون والخفراء والخدم الأصوات العاليه فتجمعوا جميعا فى بقعة واحدة كجمع الكتاكيت وقت البرد. تجمعوا، لكنهم لا يستطيعون فعل شئ خوفا من السيد... الحاكم. والدهشة المفاجئة لتلك الأصوات اوقفتهم طويلا لمعرفة حقيقة ما يجرى بدار الحكم من أسرار مبهمة...

١

الشـمس تشـرق.. الشـمس تغـرب.. النهـار يـأتى.. الليل يرحل.. ويكبر الحويطى.. ضخم الجثة فائض الحيوية. قوى العـضـلات فى وجـهـه مـلامح الحـويطى وبشـرة أمـة أمـينه الجميله.. أتم تعليمه فى الكتاب وإكتسب من عالم الفضيلة والشهامة الكثير. إمتلأ بالبطولة والورع. لقد زرعا مدنى أبو حسين وزوجته حليمه أرض الحويطى بعبادة البطولة فأنبتاه. نباتا صالحا يفتخران به وتفتخر به العرابة.. عرابة أبيدوس.

الشـمس تشـرق.. الشـمس تغـرب.. النهـار يـأتى.. الليل يرحل.. ويكبر الحويطى. ضخم الجثة فائض الحيوية.. قوى

العضـلات فى وجهه ملامح خـاله الزعيم المطارد وقسوته.. لم يتم تعليـمـه. عـاش مـولعـا بالمغـامـرة.. مـديراً لأرض أمـه وأملاكها.. إتخذ من عصابة خاله الزعيم بطانه له وأصدقاء. يشاركهم سهراتهم فى الغرز والجبل.. يعاشر نساء البلينا الماجنات.. ويغازل بنات العرابة الجميلات.. وإستطاع وحده أن يزرع فى أرض الأهالى بالقـرية الكره والمقت لحـيـاته وعـائلتـه لكن من ذا الذى يسـتطيع أن يقف له ويصـده عن الهوى..

٢

فى صعوده الجبل أصيب بصدمه هزته بقوة حينما أخبره الزعيم بترك العموديه. جاء لتقديم فروض الطاعة التى يقدمها كل حين فأصيب فى مقتل.

تصبب عرقا من كل جسده كأن الجبل أمطره عليه. وراح فى تعلثم متوسلا ومستجيرا..

ـ لم أتمتع كثيرا بعموديتى..

الوقت لم يحن بعد لتركها. أرجوكم أتركونى لها.

عملت المستحيل من أجلها فأنى لى بتركها..

صاح الزعيم فى أمر واجب النفاذ

- لابد من تركها والتنازل عن الحكم للحويطى.

وقذف به خارجا. فعاد يسحب نفسه شديدا وأفكاره تتراقص أمام عينيه فى ضبابية معتمه.

تدحرج من قمة الجبل إلى سفحه وحديثه يعلو مع نفسه مؤنباً ما الذى غير الزعيم ناحتى؟ هل وصلت إليه أكاذيب عنى أم منقلب هو على أعوانه. الوضع الآن فيه شك وقلق وعلى أن أعمل على تصحيح ما وصلت اليه مع هؤلاء الأوغاد وزعيمهم المطارد. لكن كيف أتخلص من ورطتى هذه وقد طلب منى التنحى عن الحكم والعمودية. ولمن؟ للحويطى. سقطت فى قبضته ولافرار منهم إلا بالقضاء عليهم جميعا. نجحت فى إغرائهم بتحقيق حلمى. أتعاون مع الشيطان من أجل ما أريد. فى الماضى مددت يدى لزعيم المطاريد وتعاونت معه ومع عصابته. لكن اليوم شأن آخر أتعاون مع الشرطة من موقع المسئولية الملقاة على كحاكم لهذه القرية..

ولم تمر الساعات إلا وكانت قوات الشرطة تمشط الجبل بحثا عن المطاريد.. رآهم بعضهم فأطلقوا أعيرتهم وسرعان ما صوبت الشرطة طلقاتها النارية على جسد الجبل فى إنهمار غزير كأنه مطر الشتاء.

* * *

صرخ عبدالرحيم داخل حجرته سائلا عن الطارق الذى جاءه على حين غفله ـ من؟

قال الطارق ـ أنا الحويطى.

صرخ العمدة فزعاً ـ ما الذى جاء بك. لقد قتلتك ودفنت أمام عينى فكيف تعود لى.

أطرق الخفراء على الباب فأسرع إليهم مستنجدا. وجد أمامه خفيرين يسألانه.

ـ خير يا حضرة العمدة.

صرخ ـ مابكما؟

قال ـ سمعنا صراخك فخشينا عليك.

قال فى هدوء مصطنع.

ـ لاشئ فقط كنت مع بنات أفكارى.

نظر الخفيران لبعضهما فأغلق العمدة فى وجههما الباب.

٣

مع شروق الشمس إستيقظ عبدالرحيم من نومه المقلق على مطاردين داخل حجرته يصوبان نحوه أسلحتهما. فزع الرجل وتصبب العرق غزيرا قال متلعثما ـ ما الخبر؟

رد أحدهما ـ فعلتها ياعبدالرحيم. إطمئن ستنال جزاءك ولن تهرب منه.

لكن ليس قبل أن تنتحى كما أمر الزعيم.

ارتدى ملابسك الآن واذهب إلى المأمور وتنازل للحويطى كما أمرك سيدك.

إرتعد جسده.. وتدلى لسانه. قال فى خبث

ـ أوامر الزعيم نافذة. لاشك.

لكنى أريد أن أسألكما عن صوت الطلقات المكثفة ليلة أمس.

قال أحدهما ساخرا ـ يا إبن الخبيثة كأنك لا تعرف.

هيا إرتدى ملابسك أم تريد أن تذهب بسروالك.

ضــحك ثم أردف ليكن فى علمك زوجـتك أسـيـره لدينا بالجبل.

لم يصـدق العـمدة قـوله فـاندفع ناحـية الباب مناديا على زوجـتـه التى لم يتلق ردهـا. وجَـاءه الخـدم المحـاصـرون من بعض رجال الجبل.

ـ الست أخذها المطاريد.

أنطلق العمدة متوسلا زوجتى. زوجتى. ليس لها ذنب.

قال أحدهم ـ اذهب للتنحى.

أجاب ـ فورا.

قـال أحـدهـم ـ إرتدى مـلابسك الجـديده وتحرك فى سـيرك بسعادة وسرور.

أجاب ـ سـأفعل لكن أعيدوا لى زوجتى أم أولادى.

قـال أحـدهـم ـ لا تخشى شـيئـا أولادك أيضـا فى حفظ مع أمهم.

إنطلق عبدالرحيم مندفعا كالثور الهائج المنقاد إلى الذبح.

سأتنازل.. سأتنازل.. سأتنازل.. سأتنحى.

وفلت من الباب الخارجى بسرواله وجسده شبه عارى صارخا فى الطرقات.. سأتنحى .. سأتنازل.

رآه الأهالى فأصيبوا بصدمة وراحو يتسآلون.

- مابال عمدتنا يخرج هكذا عاريا.

وراح العمدة يصرخ للأهالى والأشجار والزرع والبيوت.

- أنا العمدة.

أنا الحاكم هنا. قتلت العمدة. أنا العمدة قتلت العمدة. وقتلت الحويطى.

وصعدت الجبل وسأتنازل .. سأتنحى.

وأولادى. أولادى هاتوا لى أولادى.

لا. لا. لن أتنحى. أنا العمدة. أنا هنا القوة أقوى من أى شئ. أنظروا عضلاتى.

راح يظهر عضلاته للأهالى الذين التفوا حوله فى دهشة وتعجب رجالاونساء وأطفالاً.

رآه الحويطى ضحك كثيرا وقهقه عاليا.

ورآه الحويطى فضرب كفيه ببعضهما مرددا.

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله.

العمدة جُن.

٤

فى عتمة الليل هبط ثلاثه من المطاريد إلى (نعيمه) أطرقوا الباب فى قوة. ففتحت لهم مذعوره سائلة عن الخبر.

قال أحدهم ـ الزعيم يريدك أنت وسيدى الحويطى فى الجبل.

قالت فى هلع ـ الآن. فى منتصف الليل.

هز رأسه.

سألته من جديد ـ ما الخبر؟

رد ـ أصيب برصاصة ويريد رؤيتكما.

أسرعت (نعيمه) توقظ إبنها وهى تلف جسدها ببرده سوداء ثم خرجوا وقلبها يدق دقات كأنها طبول الحرب.

أحضر الرجال لهما فرسا قادة الحويطى وهى خلفه. وانطلقوا جميعا نحو الجبل.

وهناك أبصرت نعيمه أخاها مددا فوق فراشه ببطن مغاره جبليه ينزف منه الدماء فأرتعدت وقذفت بجسدها فوقه تقلبه باكيه.

ـ ماالذى أصابك؟

قال فى صعوبة ومشقة ـ أصطادونى فى نهاية العمر

سقطت يا نعيمة.

إزداد بكاؤها.. نظر إليها وفى همس متقطع قال:

ـ لا تبكى يا نعيمه فالحياة ستفتح لكما ذراعيها. ولأبنك من جديد والفرصة الآن للحويطى إبنك يا نعيمه.

فلن يتقدم أحد سواه للعمودية . ورجالى سيساعدونك فيما تطلبين.

أبعد الرجل نظره بعيدا فقال أحد الواقفين حولهما.

ـ كلنا خدامين الحويطى.

قال أبو دومه – عهد علينا أمامك يا زعيم أن نكون طوع أمره..

ثم لفظ أنفاسه فصرخت المرأة صرخة مدوية إهتزت لها أحجار الجبل.

٥

لم تعلم القرية بوفاة الزعيم المطارد فقد خبئ الخبر ودفن معه حتى يشيع وينتشر بين الأهالى ويصل للشرطة. فتتغير الموازين والحسابات وتضيع هيبة المطاريد.

وظلت القرية بلا عمدة بعد ما أثبت جنون العمدة الذى ظل بسرواله يجوب القرى والنجوع مناديا على زوجته. ولم يتجرأ أحد من رجال القرية على شغل مكان العمدة لما يعرفون ما يصيب صاحبه من كوارث ولعنات. حتى أعلن الحويطى تقدمه لعمودية العرابة فجرى الخبر جرى النار، وأصاب الناس الوجوم فلم يستطع أحد ابداء رأيه. ومنذ متى كان للرجال فى القرية رأى.

زغردت (نعيمه) وعاونتها بعض النسوة اللاتى يعملن لديها. وخرج الحويطى مع رجال الجبل وبعض الأهالى إلى

دار العمدة يحملون (التليفون) فى مسيرة نحو القصر بالطبل والزغاريد.

وما أن رأت نعيمه التليفون ذاته يعود إليها بعد سنوات حتى جنت من الفرحه والنشوى. فوقفت أمام البوابة الحديدية خارج القصر تصيح..

يا زيدان.. يا عمدة أبيدوس.

أبشر.

العمودية عادت لدارك والتليفون رجع لك.

يا زيدان أفرح فى قبرك.

حققت لك وعدى.

والعمودية رجعت لك.

أنت العمدة يا زيدان فى حياتك عمدة وفى موتك.

وكل الناس طوع أمرك.

يا زيدان يا عمدة البلد.

- أفرح وأبشر العمودية رجعت لك فى موتك.

* * *

٦

بعد صلاة عصر يوم الجمعة. وقف الشيخ الحويطى فوق الكوله ينادى أهل البلد الذين تجـمـعـوا حـوله خـارجين من بيوتهم، ودورهم متطلعين.. الأطفال والنساء ينظرون إليه من خلال نوافذهم وأفواه الأبواب وفوق الأسطح.

قال الحويطى بعد ما رأى وأبصر الجمع يحيط به من كل مكان: «بلاغ»، فـهل يهلك إلا القـوم الفـاسـقـون » صـدق الله العظيم.

ثم هبط من فوق الكوله متجها إلى الجامع والناس فى وقوف كأن على رؤوسهم الطير، وصيحة الحويطى التى أطلقها عليهم لا يزال صداها يتردد فى أجواء القرية.

«بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون».

٧

وبعد غياب طال يعمك الفرح من جديد يا (أبيدوس). ولكن أى فـرح هذا إنه فـرح ممزوج بالخـوف والقلق والدهشـه، فالناس لم تتعود فرحتك الصافيه الخاليه من أى شئ يعكر

صفوها.. وجاءت هذه الفرحة الممزوجة، فرحة ركوب إبنك الحويطى العمودية وزواجه من إبنه عز العرب (سنيه) فدقت الطبول وإنطلقت الزغاريد وعلقت الرايات والزينات فوق البيوت والمدارس والمصالح. وذبحت الذبائح وأقيمت الولائم فى السوق والشوارع والطرقات، حتى أن (أبيدوس) لم تر فى حياتها لحما مطبوخا مثلما رأت فى هذه المناسبة، وسارت فى الشوارع فرق الموسيقى النحاسية وعسكرت فرقة المزمار البلدى فى قهوة أبو المجد تقدم موسيقها للرواد والمشاهدين، وإنشد المنشدون فيها، وحضر المأمور وجنوده الإحتفال فجلسوا مع الأهالى يشاركونهم فرحتهم وتمنى المأمور عهدا جديدا سعيدا للقرية ملئ بالأفراح والليالى الملامح. وأطلقت الأعيرة النارية فى السماء لتمتزج مع زغاريد النساء وموسيقى المزمار والطبل والدفوف فى سيمفونية رائعه. وإمتطى الحويطى عمدة العرابة.. عرابة أبيدوس صهوة فرس أبيض يغطيه سرج أبيض فضى بينما أرتدى ملابس من حرير أبيض وحذاء أبيض وغطاء رأس كان من الصوف الأبيض. وصبغت يداه بالحناء الحمراء. وكان يحيط به أهل زوجته ورجال خاله وكثير من اهالى البلد

بعضهم يركب الدواب وبعضهم يمشى على الأقدام. وأشعل البخور برائحته الذكيه فى البيوت والدكاكين فإمتلأت عرابة أبيدوس برائحه طيبه لم تشمها وتعرف ريحها منذ سنوات. سنوات عهد الجنائز الفرعونية.

وإمتلأت القرية بالهرج والمرج والفرح على غير عادتها ولم تراقبها (بنى منصور) من على البعد بل أسرعت إليها مشركة فى فرحتها فأنتشرت الفرحة فيها وسرت مسرى الدمُ بالعروق. ومأان رأى الأهالى فى النجوع المجاوره الأضواء وسمعوا الموسيقى وشموا رائحة الشواء حتى أسرعوا بحميرهم وجمالهم إلى القرية ليشاركونهم فرحتهم وطعامهم، وكثر فى الشوارع وقهوة (أبو المجد) لاعبى القرود الذين يرقصونهم فى حركات بهلوانية، وحضر أيضا مدربى الديوك والكلاب وصراع الجديان، وجاء (الأراجواز) ونصب كشكه ليقدم عروضه الهزليه للأطفال عبر عرائسه الخشبية فإزدادت فرحة الأطفال الذين لم يكونوا يشاهدونه إلا فى العيدين وأبصر الأطفال والرجال الحواه حاملين جرابهم المملؤه بالثعابين التى كانت فى إستطاعتهم أن يجعلوها تقوم بحيل غريبة ومختلفة.

سبعة أيام وليال ظلت (العرابة) فى فرحتها حتى أختتمت بليلة الدخله.. حيث خرجت (سنيه) العروس الجميله من دار أبيها (عز العرب) تركب هودجا مزينا وضع فوق جمل قوى يحيط به النساء والأطفال ومن خلفهم يسير الرجال طائفين بشوارع القرية محيطا بالزغاريد وطلقات الأعيرة النارية حتى إنتهى إلى دار الحويطى العمدة الذى كان واقفا أمام البوابة الحديدية بملابسه البيضاء. نخ الجمل وهبطت العروس من الهودج ممسكه بيد أبيها الذى قدمها للحويطى فحملها بذراعيه القويتين وسار بها داخل الدار عبر حديقة القصر المضـأة بالأنوار المتلالأة أمام البوابة وقف الأب يشيع أبنته العروس بنظرات الفرح والسعادة. وفى السماء كانت الأنوار والأعيرة النارية تفصح عن فرحتها. وظل الناس مجتمعين أمام دار الحويطى فى إنتظار. وظل الأب واقفا معهم فى سعادة وقلق فراح يتمتم بدعاء خفى حتى خرجت (نعيمه) بعد ساعة أو أكثر تزغرد وبيدها منديل أبيض ملطخا ببقع من الدم الأحمر ما أن رآه الناس حتى إزدادت فرحتهم فأحتضنوا الأب عز العرب يقبلونه مهنئين.

قال الحويطى لشعبة: سيكون عهدى معكم رخاء سيمتلك كل واحد منكم أرضا وبيتا سنودع عصر الفقر والسرقة والإغتصاب. هذا عهدى لكم يا أبناء العرابة يا أبناء أبيدوس.

وبدأت نهضة حضارية جديدة لم تعرفها القرية منذ عهد رمسيس الثانى. فأنشأ العمدة قصرا جديدا جعل منه تحفه معمارية. زينة بزخارف غنية رائعه، ورسمت جدرانه بألوان مختلفة دقيقة معشقه بالرخام والحجاره الملونه. وبنى (مندره) مرصوفة بالرخام المتعدد الألوان ليكون أشكالا من الأزهار والورود وغيرها من الزخارف، ويقوم وسطها (نافورة) من المياه تبقى مفتوحه بالليل والنهار تلطيفا للجو الحار.

ورصت حول الحوض المائى (للنافورة) أو ان مليئة بالأزهار والورود والرياحين. وغطت الأرض بسط وسجاجيد ثمينه وحول القصر أشجار ونباتات كثيرة مختلفة ألوانها وأنواعها.

ثم بدأ العمدة فى رصف الطرق المؤدية إلي القصر. فعرفت العرابة لأول مرة الطرق المرصوفة، أمر بإنشاء حديقة

ونافورة مياه لتكون نزهة للناظرين وشيد محطة إنتظار خاصة لراكبى (الحلزونه) وطالب الأهالى بقدوم سيارة (أتوبيس) أحدث عمراً حتى تتمشى مع النهضة الحضارية للقرية. فى هذا العهد شعر الأهالى بهبوب ريح الرخاء التى ستعم البلاد فأستبشروا خيرا لأول مرة فى حياتهم.

٩

ومرت أيامك يا أبيدوس وأنت فى غيبة عن العالم الواقعى عالمك الذى تعرفينه وتعشقينه، فأنتهى حلمك الذى أجبرت عليه. عدت يا أبيدوس إلى سابق أيامك.. أيام زيدان وأبو ريان وعبدالرحيم، وعاد حراس العمدة ومعهم شيخ خفره (أبو دومه) فى شوق لذيذ إلى عملهم القديم الذى تعودوه ونشأوا فيه. عاد الجبروت إليك يا (أبيدوس) فعم الظلام والظلم، والقهر والسلب. تحدثت الأفواه فقالت، وقالت.. وأنتشر فى القرية الكلام عن جنون الحويطى لفقده الأنجاب فصب جام غضبه على الأهالى. فتكلمت الشفاه وإنطلقت الألسنه.. لكن منذ متى كان للكلام فائده..

١٠

فى أوقات راحته كان يفترش فروه الخروف التى وضعت له فوق المصطبه بجوار باب الدار الخارجى. يتابع فى جلسته تيار السابلة ومرحبا بكل مار على داره لتناول الشاى الذى كانت تعده له حليمه، وكان الناس يهرعون إليه مقبلين ويقصون عليه ما أصابهم من ظلم العمدة ورجاله المطاريد. كان يشاهد ما يصيب الأهالى من عنت العمدة ورجاله فيكظم غيظه ويطيب خاطرهم داعيا للجميع بالهداية والرشاد.

١١

لم يستطع الحويطى العمدة أن يتقبل وجود الحويطى الشيخ بالقرية وهو يلاقى كل هذا التقدير والإحترام من الأهالى فلم يبلعه من زور رغم ما يشعر به أحياناً بأحاسيس طيبه نحوه. فكثيرا ما نظر إلى وجهه وهو يعتلى منبر الجامع يوم الجمعه يلقى الخطبه والعمدة جالسا بالصف الأول



متطلعا إليه إنهما على مقربة مترين إثنين. يراه جيدا وهو يتحدث بأسلوبه البديع عن الحقوق والدعوة بإعادتها إلى أصحابها فيشعر أنه يقصده هو بالذات فتتغير أحاسيسه ويسمع صوتا داخله يأمره بترك الجامع والخطبه وصلاة الجمعه ويخرج لكن لو فعل ماذا سيقول الناس عنه.

١٢

يمر أمامه راكبا فرسه فيرميه بنظره. بجوار داره جالسا فوق فروة الخروف البنيه اللون. فوق المصطبه. يبدأ الشيخ السلام. ويرد هو. لكن بتكبر. فى حلقه غصه فهو لا يقف له كما يفعل أهل البلد، ولا يهرع نحوه مرحبا. فقط يلقى السلام.

فى الدار يشغل فكره هذا الشيخ وما يحتويه داخله من أحاسيس لا يعرف معنى لها. يشعر بالشوق لرؤياه، ويشعر بالحب نحوه، ثم يشعر بالكره والإبتعاد حتى أنه فكر فى تنحيته عن إمامه الجامع وإرساله لإحدى القرى المجاورة أو النجوع، لكنه عندما يغيب عنه كان يشتاق إليه ويتلهف عليه.

أى شخص هذا إبن أمينه؟

أهو ولى كأمه العمياء.؟

١٣

وسرعان ما أعاد الحويطى (سنية) زوجته إلى بيت أبيها عز العرب لأنها لم تنجب له الولد. وتزوج غيرها. إبنة شيخ (بنى منصور) جميله ومتعلمه مثلما (سنيه) أنه يحب هذا النوع من النساء. تزوجها لتجلب له الولد الذى يريده لوراثه الأرض والمال من بعد عمر طويل. لكن سرعان أيضا ما أعادها إلى قريتها قبل أن تتم العام. وراح يبحث عن أخرى وأخرى حتى خشى الناس تقديم بناتهم له. فالمصير معروف والنهاية واضحة للشهود فمن ذا الذى يرض لأبنته الطلاق والعودة إليه بعد شهور قليلة وكالكلب أخذ يشمشم له عن زوجه تشبع نهمه الوحشى نحو الولد...

١٤

نجح الحويطى العمدةفى زيادة أملاك أمه وأبيه فأشترى الأراضى من الناس وكنز المال بقوة السلاح والرجال. ودفع الرشاوى للمسئولين من رجال الحكومة فأغمضوا أعينهم عن كثير مما جرى بالبلد. وأدعى الحويطى العمدة رعايته للعلم والفنون. فأنشأ مدرسة إبتدائية فى أرض السوق وأقام بوابة خرسانية على مدخل القرية ترحب بالضيوف كتب عليها «أدخوها بسلام. آمنين».

١٥

قال الراوى:

ومن حياته فى الزريبه ومراقبته الدار. الداخلون، الخارجون، والعاملون فيها... ومن خلال جلسات السمر المسائية التى كان يجلسها مع زملاء العمل فى الزريبه عوض الله، ومحمدين مع بعض الخدم الذين ملوا الدار فخرجوا للزريبه. من خلال كل هؤلاء عرف الحويطى الكثير مما يدور

فى دار الحكم كما كان يحلو للبعض أن يطلق على دار العمدة. فمنها من تلك الدار كان كل شئ يسير القرية. فالخفراء بأوامر من العمدة يقبضون على الشباب المثقف المطاب بالحقوق والعدل. يرسلونهم إلى الخدمة العسكرية حتى يبتعدوا عن القرية وأهلها. ومن لا تطلبه الخدمه العسكرية لوجود مرض به أو لصغر عمره كان يرسله لأماكن لا علم لأحد بها. ويطول الزمن. وتذرف الأمهات الدموع ويحمل الآباء الحسرة فيذهبون إليه متوسلين ومقبلين الأقدام ليعيد لهم أبناءهم، يوقعون على أوراق بيضاء يختمونها بأختامهم يبصمونها ببصماتهم، ثم يفكر هو فى إرجاع الأولاد. ولا يجد هنا الآباء والأمهات بدا من بيع أراضيهم إليه بل وأنفسهم فى سبيل عودة الأبناء من المنفى...



الفصل السابع

جنون الأحلام

« فقل له: أيها الملك إن الغادر مأخوذ بغدره...»

كليله ودمنه



يقول الراوى:
«فنام الملك ذات ليلة فراى فى منامه ثمانية احلام افزعته، فإستيقظ مرعوبا..»

١

فى ثلثى الليل استيقظ الحويطى من نومه يصرخ فزعا، فأسرعت إليه أمه (نعيمه) التى تجاور حجرته، دفعت الباب عليه. رمت بنفسها فوقه. إحتضنته خائفه متسائله: مابك؟

بسم الله عليك.

تصبب العرق من كل جسده وأخذته الرعشة. قال فى وهن:

ـ الحلم

نظرت فى عينيه الحمراوين تسأله: أى حلم؟

قال وهو يبتعد عن حضنها ويرمى بظهره فوق الفراش:

ـ حلم كل ليله.

قالت ـ حلم كل ليله. وما الذى كنت تحلم به؟

قال ـ كابوس.

قالت ـ خير إن شاء الله.،

قال ـ لا أدرى لماذا يراودنى هذا الحلم منذ ليال.

قالت ـ لاتشغل بالك.. كلنا نحلم. لكنك لم تقل لى عن حلمك.

قال ـ رأيت اللهم خيرا. أن بطنى تنتفخ إنتفاخا كبيرا يصيبنى بالألم والصراخ فأمسكتها بيدى وهى تزداد إنتفاخا لكنها تنفجر ويخرج منها جنين سرعان ما ينمو، وينمو حتى يصبح رجلا قويا فيمسك سيفا يضربنى به ضربة قوية فوق رأسى فأنشق نصفين يسقطا يمينا ويسارا.

وقفت نعيمه فزعه وهى تعيد سؤالها:

ماذا رأيت؟

حملق فيها وهو يقول - ما قلت لك.

إبتعدت عن السرير النائم فوقه، ووقفت فى منتصف الحجرة فوق سجاده مربعه بمربعات مختلفة. نظرت إليه قائله.

ـ نفس الحلم.

جلس الحويطى وسألها: تقولين نفس الحلم.

إقتربت منه وهى تجاوبه: نعم.
سألها من جديد: أى حلم؟
جلست على حافة السرير قبالة: حلم أبوك.
نهض الحويطى قال - ماذا تقولين.؟
قالت: حلم أبوك. لقد حلم نفس الحلم قبل مولدك.
إرتعد ما فى داخل الحويطى وتذكرت هى إنه ليس بولده وأنه ليس بأبيه فخطف لونها.
ردد هو - نفس حلم أبى.. وماذا يعنى هذا؟
قالت مستدركه - كان العمدة يراه كثيرا.
قال - مثلما أراه أنا.
قالت بلا وعى - نفس حلمه، لكن لا. لم يكن أب.......
صمتت فعجلها لإستكمال حديثها.
ـ أكملى لم يكن ماذا؟
إنتبهت.. قالت: لاشئ.
إقتربت من وجهها الذى تبدل مع الزمن.
ـ هناك شئ تخفينه عنى
نهضت وهى تهم بالخروج قائله:
ـ لا شئ أخفيه عنك.. إنها أضغاث أحلام عد لنومك وإستعذ بالله من الشيطان.

٢

ذهبت نعيمه إلى حجرتها وهى تعيد ذكرى سنوات حياتها الماضية وتعيد أحداث الحلم الذى رآه إبنها الحويطى وما رآه العمدة (زيدان) وتسائلت..

هل يعقل أن يرى شخصين متباعدين حلم واحد مع مرور السنين بينهما..؟

سؤال طرحته نعيمه على نفسها كثيرا فلم تجد له إجابه وضاع منها النوم فراحت تتقلب فوق فراشها الذى شعرت بناره يسرى فى جسدها..

ويأتيها العمدة (زيدان) بعباءته وعصاه يسألها:

ـ ماذا رأى الحويطى يا نعيمه؟

علقت عيناها فى سقف الحجره - رأى ما رأيت؟

سأل ـ وهل سيقتل إبنى يا نعيمه؟

•صرخت ـ لا ..لن يقتله أحد، ثم إنه ليس بإبنك ليس بإبنك وأنت تعلم هذا. أنت لم تنجب. الحويطى ليس إبنك. الحويطى إبن نعيمه.

الحويطى إبن الحويطى.

قال زيدان وهو يختفى من أمامها:

ـ إذن الحويطى سيقتله الحويطى كما قتلنى الحويطى.

صرخت ـ لا.. يقتله.

أسرع إليها الحويطى. أطرق بابها المجاور له ثم دخل سائلا.

ما بك يا أمى؟

أشاحت بوجهها المتكسر بعيدا عنه.

ـ لا شئ.. لقد رأيت أباك فى المنام.

قال لها ـ وهل قال لك شيئا.

قالت وهى تحاول تمثيل النوم أمامه بالتثاؤب.

ـ قال حافظى على إبنك يا نعيمه.

إبتسم الحويطى قائلا:

ـ وكيف ستحافظين علىَّ يا أمى؟

قالت هاربه أريد أن أكمل نومى..

٣

فى الصباح خرج الحويطى خارج الدار فرآه (أبو دومه) فأسرع الخطى إليه وجاوره فى السير ملقيا عليه التحية، لم ينتبه العمدة.

صاح أبو دومه – ما بك يا حضرة العمدة؟

لم يجبه.. وأعاد (أبو دومه) سؤاله.

أنتبه العمدة لسؤال أبو دومه فقال له:

- أنت هنا.

- منذ خروجك يا عمدة ما بك؟

- لم أنم أمس.

- خير إن شاء الله يا حضرة العمدة.

- كابوس.

- إستعذ بالله.

- يأتينى كل ليلة.

- يا خبر.. كل ليلة.

- ....

ـ هذه رؤيا إذن وليست كابوسا.

كفا عن السير . رمى بنظره إلى وجه أبو دومه المجعد.

قال ـ رؤيا.

رد ـ نعم.. قص لى ما رأيت وأنا إن شاء الله أفسرها لك أكملا سيرهما المتوقف وهو يقص لأبى دومه رؤياه.

ـ رأيت أنى حامل بجنين... سرعان ما يخرج من بطنى ويقتلنى بسيف معه فأنشق نصفين بالطول..

قاطعه أبو دومه – ماذا تقول؟

رد فى كأبه – ما سمعته؟

ـ هذا حلمك أنت يا حضرة العمدة؟

ـ نعم. أتظن أنه حلم أمى نعيمه.

صاح أبو دومه فى دهشه ـ لا.. أقصد أن نفس هذا الحلم رآه العمدة (زيدان).. أبوك..

توقف العمدة عن السير مرة أخرى وأمسك بذراع (أبو دومه)

وهو يسأله ـ نفس ما قالته أمى أمس.. أحك لى يا (أبو دومه) حكاية هذا الحلم.

قال أبو دومه ـ حكايته من سنين طويله.

كان أبوك قد رأى حلما. ولم يعرف له تفسيرا فأعلن فى البلد كلها عن تفسير لحلمه ووعد بالعطايا لمن يفسره له.

ـ وماذا؟

لا شئ. لم يهتد إلى تفسير الحلم سوى رجل مهبول يقال له الحويطى.

ـ ماذا تقول؟

ـ أقول لك ما جرى من سنين والقرية تعلمه جيدا.

ـ وماذا كان تفسير. المهبول؟

ـ لا أحد يعلم بالتفسير سوى العمدة زيدان.. أبوك. ونعيمه هانم..

قال الحويطى وقد تجهم وجهه سأعود إلى البيت الآن..

٤

دخل العمدة الدار منايا أمه، فجأت إليه هلعه وهى تسأله عما به.

صاح ـ جئت من أجل الحلم.

تنهدت ـ مرة أخرى. ألا تنسى كوابيسك هذه.

أمسك بيدها وسار بها داخل الدار.

قال ـ تعالى بالداخل وقصى لى ما الذى فسره الحويطى لأبى.

قالت ـ لا أفهم.

رد فى حده ـ بل تفهمين.. الحويطى. الرجل المهبول. فسر الحلم لأبى.

ماذا قال له؟

صرخت فى وجهه ـ الحويطى لم يكن رجلا مهبولا ولم يقل شيئا.

ـ تدافعين عنه. القصة إذن حقيقية.

ـ أريد أن أرى شؤون البيت.

ـ أتركى البيت للخدم وأحكى لى بالضبط ما جرى أيام أبى العمدة، وإلا سأعلن فى القرية عن مكافأة وعطايا كما أعلن أبى ذلك من قبل.

ووقتها سأعرف الحقيقة وستعرف القرية ما أصاب عائلة (زيدان) من جنون الأحلام.

فزعت نعيمه من كلام ولدها الحويطى فقالت فى إنكسار.

ـ من أخبرك بكل هذا؟

قال وعيناه تبرقان ـ قولى الحقيقة يا أم الحويطى.

قالت فى إنكسارها ـ لا شئ فقط رأى العمدة (زيدان) نفس حلمك وفسره رجل غريب أسمه الحويطى. ثم قتل أباك وهرب فأصابه شيخ الخفراء (عبدالرحيم) برصاصة قاتلة. بعدها إكتشفت الحكومة أن الحويطى كان من المطاريد فى أرض الشمال.

قال ـ هذه كل الحقيقة يا أم الحويطى.

قالت مبتعدة عنه ـ كل الحقيقة يا حويطى.

٥

تجمع الأهالى أمام دار مدنى أبو حسين. راح بعضهم ينادى على الشيخ الحويطى مستجدين به أن ينقذهم من جبروت العمدة.

خرج إليهم يهدأ من روعهم وغضبهم وثورتهم.

ـ سأذهب إليه.. سأقابله.. سأتحدث معه.

ولابد من أن يستجيب لكم. لكن إصبروا ورابطوا.

٦

عندما دخل القصر منتظرا هبوط العمدة إليه أبصرته نعيمه فحملقت فيه. ثم سألته – من أنت؟

قال الحويطى: أنا الحويطى.

قالت فى دهشه غير مصدقه.

ـ يعقل أن تعود لى من جديد ياحويطى بعد ما أبيض شعر الرأس. أكثر من عشرين عاما تجيئ من جديد لتوقظ المارد النائم داخلى.

لماذا جئت بعد كل هذه السنين.

قال وهو يقف أمامها فى شموخ: جئت من أجل الأرض

تقدمت نحوه، حملقت فيه، لمسته بيدها. إزدادت إقترابا منه..

قالت فى همس ـ أنا فى شوق إليك.

قال مبتعدا ـ ما هذا الكلام؟

قالت ـ هل نسيت. هل نسيت الليلة التى رويت فيها أرض نعيمه.

قال دون فهم ـ لم أرو أرضا لأحد.

قالت فى تأكيد ـ بل رويت أرض نعيمه وبذرت فيها البذور.

صاح فى غضب ـ هل جننتى يا إمرأة؟

صاحت فى غضب ـ من أنت؟

قال الحويطى ـ أنا الحويطى.

قالت ـ وبعد كل هذه السنين يا حويطى لا تعرف نعيمه. لقد مات العمدة وكبر الولد.

لم يفهم شيئا فأدار ظهره وخرج. نظرت إليه.

راقبته ثم صاحت بأعلى صوتها.. يا حويطى

يا حويط ط ط طى ى ى ى.

لم يستجب لها وبدا الحويطى أبنها أمامها..

قال: تنادينى يا أمى.

قالت ـ لا. أنادى على الحويطى.

قال الحويطى ـ أنا الحويطى.

قالت أمه ـ الحويطى خرج الآن.

صرخ ـ أين؟

أشارت بأصابعها بعيدا.. فى الخارج هناك.

أسرع العمدة نحو الباب. أبصر ظهر الحويطى فصاح مناديا عليه..

يا حويطى يا حويطى

وقف. إلتفت إليه. رآه إقترابا من بعضهما.

قال له: جئت إليك من أجل الأرض.

قال: أى أرض

قال له: أرض الأهالى التى نهبتها أنت ورجالك.

قال: أنا لم أنهب أرضا من أحد، بل أنا أقدم لهم خدماتى وخدمات رجالى بلا مقابل.

قال له ـ وسرقات الليل وبيع أراضى الناس بالقوة والتوقيع على الأوراق البيضاء.

قـال ـ أنا أخـدم قـريتى. بلدى. والكل يشـهـد على ذلك. نقلت الحضارة للقرية. بنيت المدارس. رصفت الشوارع جددت الجامع.

قاطعة - بأموال الغلابه والمساكين وأبناء السبيل بأموال المطحـونين ومنكسـرى القلوب أنت تـهـدم القـرية يا عـمـدة. قريتك. بلدك.

صاح له أعد الحقوق لأهلها.

قال ـ جئت تعظنى أيها الشيخ.

قال له ـ بل جئت آمرك لا أعظك.

قال فى غضب ـ لا أحد يأمر العمدة الحويطى.

قـال فى قـوة ـ الناس يأمـرونك. أهل القـرية. الناس الذين رضوا بك عمدة عليهم. ومن قبلهم الله يأمرك.

رد ـ تتكلم عن أهل القرية. عن عبيدى.

قاطعة فى حدة ـ أنتبه. أنهم ليسوا عبيدا لأحد سوى الله عز وجل.

قال فى ثورة غضبه ـ أنا السيد. أنا الحاكم.

قال له ـ بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وإذا قيل له إتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم وبئس المهاد﴾

صدق الله العظيم

قال العمدة فى غضب شديد – أتعدنى جهنم أيها الشيخ

قال له فى سخرية ـ بل الله هو الذى يعد الظالمين بجهنم وبئس المصير.

٧

إلتفت الناس حول بيت مدنى أبو حسين.. إنتظروا مجيئ الحويطى.. غاب الحويطى عنهم..

راح العمدة يبحث عن الحقيقة فى القرية فسأل الناس والأهل والأقارب، وواصل وده ومحبته مع أخوة العمدة (زيدان) وسأل عن مقتله فقصوا له القصص وحكوا ما فعلته نعيمه الغازية به، وأفصحوا عن سر هزه هزا من الأعماق. قلب له حياته. لم يكن (زيدان) له مقدرة على الإنجاب.. عاش سنوات مع زوجته الأولى ولم ينجب منها. وها هى قد أنجبت من غيره الأولاد والبنات.

أسرع العمدة إلى أمه والغضب قد ملأه فراح يتساقط منه فى الطريق. هجم على الدار. إندفع كثور ناحية أمه أمسك بها فى قوة.

صاح فى وجهها وهو يرجها رجا من أبى؟ من؟

ملحق٧:

قالت له أمه: أبوك هناك فى البلد.. إن أردت مقابلته فلابد من السفر إليه. أنه يمتلك الدار والأرض. وهو هناك. حتما هناك..

* * *

أمسك الحويطى بذراعى أمه وهو يسألها فى غضب جنونى- من أبى؟ ومن العمدة؟

قالت فى صراخ - ستقتلنى.. أتركنى.

قال فى جنون - قولى من يكون أبى.

قالت - العمدة.

قال - لا العمدة زيدان كان عاقرا.. لقد عرفت الحقيقة فقولى من يكون؟

تحولت يديه إلى عنقها. ضغط عليها. صرخت ستقتلنى.

قال - من أبى؟

قالت فى حشرجه - أبوك الحويطى.

* * *

تساقط الحويطى منهارا. يحدث نفسه.. الحويطى أبى. والحويطى. أنه يشبهنى. كثيرا ما شعرت نحوه بإحساس غريب. حنين وإشتياق.. كان يراودنى طيفة كثيرا وكنت أتعجب لقرب شبهه منى لابد من أن أبانا كان واحدا.

٨

فى ليل القرية. ليل الغضب وبراكين الثورة إجتمعت القرية تحمل المشاعل الناريه والعصى وآلات الزراعـة الحديدية من فئوس ومناجل مع السكاكين وبعض الأسلحة. وهبوا هبة رجل واحد. ناحية قصر العمدة وهم يزأرون زئير الأسود الغاضبه رآهم الخفراء فهرعوا يختبئون داخل القصر..

وصيحات الناس تنادى ـ الحويطى ياعمدة.

أين الحويطى يا عمدة..؟

ووسط الحشد الثائر مدنى أبو حسين ممسكا بيد حليمه وهما يصيحان مع الأهالى أين الحويطى يا عمدة؟

وأمام البوابة الحديدية وقفوا يحملقون فى المبنى الذي يحتوى العمدة وأمه ورجالهما.

همست حليمه لمدنى ـ هل تتذكرها يا مدنى؟

قال مدنى مرتعشا – نعم يا حليمه كما فعلوا مع أمينه الله يرحمها وهم يطالبونها بنسب الحويطى.

خرج العمدة إليهم محاطا بالحراس من رجال الجبل.

صاح ـ مابكم يا غجر؟

هل قامت القيامة؟

أثارت عبارة العمدة هياج الأهالى فتصايحوا بكلام كثير

فأردف ـ ماذا تقولون يا مقطوعى الألسنه.؟

قال أحد الشباب ـ جئنا إليك أيها المستبد بعد ما طفح الكيل. عشت بيننا مجرما وآويت لدارك وحكمت البلد بالجبروت والفساد.

نظر العمدة إليه ـ لم يصبح فيك رجال يا عرابة حتى يتكلم العيال.

قال شاب آخر ـ أنت لن تنتهى إلا بالموت فهو ليس بجديد عليك. أنه رداءك ورداء آباءك.

أشار العمدة إلى أحد حراسه فصوب بندقيته نحوه.

تصايح الأهالى وإلتفوا حوله يحمونه وبعضهم يصيح الموت للمستبد الموت للحاكم الظالم.

إشتاط غيظ العمدة فخطف البندقية من خفيره أطلق منها رصاصه مدويه كالرعد لكنها طاشت وأصابت صدر (حليمه) التى سقطت وسط ذهول الأهالى ودهشتهم. صرخ مدنى أبو حسين باكيا نحو حليمه. وشق الجمع رجل متهالك القوى رث الثياب وإرتمى فوق حليمه. يحتضنها ودموعه تنهمر من عينيه أبصرته شفتاها عن إبتسامة وهى تقول

- عدت يا ولدى.. الحمد لله. لقد قتلنى الظالم.

ولكنى فداء لكم. فداء لك يا ولدى.

إزدادت دموع مدنى أبو حسين المنهمرة بغزارة كل الغضب وهجم الحويطى على البوابة الحديدية محاولا فتحها ليدخل لملاقاة العمدة لكن الحراس كانوا قد أغلقوها أمام طوفان الأهالى.

صاح الحويطى للأهالى - إكسروا البوابه.

هجم الأهالى وهزوا البوابة ورجوها بقوة حتى نزعوها من قلب الجدران. ودخلوا القصر.. رأتهم (نعيمه) من الشرفه وهى فى إعياء شديد فصرخت فى هيستريا وأرتعش العمدة

من رؤية هجوم الناس ناحيته. وفى جنون أطلق رصاصات النبدقيه. فتساقط بعض الأهالى. إزداد فزع الأهالى حاملى العصى وخوفهم الممزوج بالغضب والثورة فتراجعوا وهم يرمون القصر بمشاعلهم النارية فأنتشرت النيران فى كل القصر وإزداد صراخ نعيمه الهستيريه النار.. النار.. القصر.. العمودية... الحويطى وإزداد الحريق واحتمى الحويطى برجاله الذين حاولوا إطفاء النيران بلا فائدة وإزداد الحريق إشتعالا رهيبا والناس فى إنتظار من يخرج منهم فارًا بنفسه....

٩

وأكلت النار العمدة وداره وكل من فيه فلم تتركه إلا هشيما تذروه الرياح وبحثوا عن الحويطى الشيخ الذى كان يراقب الحريق معهم. أرادوا ان يحتموا به.

أن يرفعوه. أن يكرموه، لكنهم لم يجدوه بينهم. بحثوا عنه. فتشوا كل القرية. فلم يعثروا له عن أثر... لقد تلاشى الرجل من بينهم كالدخان.

١٠

فى الليلة التالية.. والقرية نائمة.. صاح أحد الرجال بصوته الجهورى الذى مزق سكون الليل.

- ياأهل القريه.

عاد الحويطى ومعه أمينه العاميه.

إستيقظت القريه من سباتها، فأشار لهم الرجل ناحية الجبل فأبصروا الحويطى ممسكا بيد أمينه العامية فى ملابس بيضاء. فضفاضه، والطيور ترفرف فوقهما بأجنحتها البيضاء. يهبطان الجبل بجناحين من نور إلى أرض القرية. إلى العرابة.

تمت



فهرس

الفصل الأول
ليل الأحزان ٧

الفصل الثانى
أحداث يوم السوق ٣٣

الفصل الثالث
حويطى جديد ٧٣

الفصل الرابع
عودة بنى منصور ٨٣

الفصل الخامس
بيت أمينة العامية ٩٧

الفصل السادس
عودة العمودية ١٢٣

الفصل السابع
جنون الأحلام ١٤٩



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٥/٨٦٦٠

I.S.B.N 977-235-412-8